هو الحكيم العليم

هذه رسالة عزيزة انيقة ومقالة جليلة ربانية مسماة بعرش التقديس فارق بين الحق والتدليس طلعت عن مطلع العرفان والتحقيق ولمعت عن منبع الايمان والتدقيق
لعمري لولا ان الجاهل عنود والانصاف في الخلق مفقود لحق بها ان تكتب نقوشها
في صفحات الاعيان ظاهرا وتثبت معانيها في الواح البصائر باطنا ولكن
الجاحدين الغافلين المغترين بلامع السراب لمحرومون من رحيق هذا الشراب
كانهم لا يبصرون ولا يسمعون لانهم عن السمع لمعزولون وعن آيات ربهم لمحجوبون
يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ولو كان يتيسر لكل عاجز
السياحة في فضاء عالم الملكوت والسير لكان كل سليمن صلوات الله على نبينا وعليه
مختصا بهم منطق الطير فهؤلاء هم محتلون محذورون في امرهم هذا الوهم ليسموا جبنهم
حزما وفتورهم نفورا ونعم ما قيل ترى الجبناء ان الجبن حزم
وتلك خديعة الطبع اللئيم ولكن الكل ميسر لما خلق له وكتب هذه الاحرف
خادم العلوم العالية الروحانية محمد بن ابرهيم الشهير بالصدر الشيرازي احسن الله احواله
حامدا لله مصليا على نبيه مستغفرا لذنبه

کلیشه خط اولین حکیم اسلامی ملا صدرای متوفی ۱۰۵۰ ه (غن) که در پشت صفحه اول رسالهٔ عرش التقدیس استاد خود میرداماد نوشته- واحسن صورة للانسان خطه و کتابته

کتاب شرح اصول کافی ملا صدرا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جل عن مطارح اضواء الفكر جلاله لتوارتفع عن مواقع انوار النظر كماله وعجزت المدارك والعقول عن كنه كمال حكمته وكلت السن الفصحاء عن وصف جلال عظمته اشهد ان لا اله الا الله هو الواحد القهار الفاعل المختار العزيز الجبار جاعل الملائكة والمدبرات وسايط ليظهر فضله وجوده وباعث الانبياء والرسل وسايل ليهتدى الناس الى معرفة ذاته ووجوده فاعل كل محسوس ومعقول وغاية كل مطلوب ومسؤل وواهب حيوة العالمين وناظم السموات فوق الارضين مدبر الاسباب والامور ومقدر الازمنة والدهور محصل ما في الصدور وباعث الهموم في القبور يوم ينفخ في الصور ويطوى السماء للنشور جاعل الظلمات والانوار ومظهر الليل والنهار ومحرك الفلاك الدوار ومزين السماء بزينة الكواكب والاقمار واوحى في كل سماء امرها بالوحى والتنوير والتصوير للملائكة الابرار المطهرين عن شهوات النفوس وادناس الاشرار المسبحين الليل والنهار مع انهم دون الملائكة الحجب المقربين المهيمين في نور جلال رب العالمين فانظنك بصور لم يعرف تحصيلا الى يكون تنعمها خلودا وتابدا والعلماء لما احسوا بهذا المعاد راموا التخلص عن الاضداد والتجرد عن المواد وحين شاهدوا من الدار بابها وصيدلانها حاولوا ان يحلوا ساحتها وابوابها يوم يقوم الناس لرب العالمين ونشر صحايف النفوس والدواوين واصلى على صفوة عباد الله المرسلين وسفرائه الصادقين وانبيائه المصطفين واوليائه الكاملين سيما سيد الانبياء وقطب الاولياء محمد خاتم الاولين والاخرين وعلى امير المؤمنين وامام المتقين واكرم الانصار والمهاجرين وخليفة رسول رب العالمين وابى الائمة المعصومين والاحباب المطهرين والشهداء والصالحين صلى الله وملائكته على النبى والصلوة دائمة وتسليما كثيرا ونور قلوبهم وارواحهم بنور المحبة والولاية تنويرا وطهر نفوسهم واشباحهم عن الرجس تطهيرا اما بعد فيقول احوج خلق الله وافقرهم الى عفو ربهم الكريم محمد بن ابرهيم الشيرازى الشهير بصدر الدين اذاقه الله من كاس المعرفة ومشرب التحقيق واليقين اعلموا اخوانى المؤمنين واصحابى الصالحين هداكم الله الى مسالك اليقين ومنهج المتقين ان السعادة ربما يظن بها انها الفوز باللذات الحسية والوصول الى المشتهيات الحيوانية وما

ابين لمن تحقق الامور وذاق مشرب المعرفة والذوق وتفطن بالسلامة عن الشرور والخلاص عن دار الغرور وموطن اصحاب القبور ان شيئا منها ليس بسعادة حقيقية وانما هى حجب ظلمانية واستحالات جسمانية وطلمات خيالية وصور لهواية وهمية كسراب بقيعة يحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا او كظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور لم تر انها البصر الالذى يتعاطيها متمكنا فيها كيف انقطعت الالهامات والتكليفات الالهية عن جوانبه وامتنعت المعارف والعلوم الحقيقية عن النزول فيه وتعذر عليه اخلاص النية الالهية وصدق القصد والهمة فى شئ مما نفعله ويؤديه من صور الاعمال الحسنة والعبادات وما يعده من الخيرات والطاعات من غرضها وقد همت دنياوية او مصادمة طلبة نفسانية حتى كانه لم يعرف الاخرة الا كالدنيا ولم يطلب فى الحقيقة الا ما يكون فيها ولم يبتغ لقاء الله والتقرب اليه ورضوانه لعدم استيناسه بالفيض العلوى ولا ارتباط بالروح الالهى الذى يزال به العمى عن القلب المعنوى والصمم عن السمع العقلى بسبب انحباسه فى المنزل الادنى وانسداد باب المعرفة على سمعه وقلبه كالاصم والاعمى والمحصار فى سجن الدنيا واخلاده الى الارض السفلى والقرية الظالم اهلها دار الاموات ومنزل الذواب والحشرات ومعدن الشرور والظلمات فاحتجب عن ملاحظة الابد ومعاينة جمال الرشد لانهم صم عن السمع لمعزولون بكم فهم لا ينطقون عمى لا يبصرون سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون كلا انهم عن ربهم لمحجوبون بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ثم انه لا شك فى ان اقصى ما يتاتى لكل احد ان يستعد به ويفوز بالوصول اليه هو الكمال المختص به والملايم المنسوب الى نوعه وفصله وكلما انحط عنه فهو نقصان فيه وشقاوة تلحقه وتعتريه وان كان كمالا وسعادة لمن هو فى رتبة الوجود دونه وتاليه فاذن لكل نوع كمال يختص به وبه سعادته فللاجسام فى حصول الحيز والفضا وللنبات فى التغذية والانماء وللحيوان فى حصوله باتفاس حركته بارادته واحساسه وللفلك فى دورانه بشوقه ووجدانه وللملك فى تسبيحه وتمجيده وطوفانه حول العرش بتحميده وللشيطان فى اغوائه واضلاله لاقرانه واعوانه فامن دابة وما دونها وما فوقها الا ومن شانها البلوغ الى اقصى ما لها من الكمال ما لم يعقها عايق فلهذا النوع ايضا كمال خاص به سعادته وبه شقاوته ان وصل اليه لا يفوقه فايق ولا يسبقه سابق وبه يستحق خلافة الله فى الارض والسماء وان كانت له مشاركة مع ساير الاشياء بحسب ما اودع الله فيه من القوى والالات والخوادم والاعضاء فله درجات فى الوجود واطوار ونشات من ادنى الامور الى اقصى ما حصل من الوجود كما قال وقد خلقكم اطوارا ظلمات وانوارا وكماله الخاص بجوهر ذاته انما هو الاحاطة بالمعلومات والتجرد عن الماديات والتخلص عن الشرور والظلمات فاذا انحط عن كماله وما حصل فى ماله وابطل استعداده ليوم معاده وزال راس ماله برزوال جوهرته الاولى وفقد ماله فهو اشد ضلالة من الانعام والحشرات واسوء حالا من الدواب والجمادات لكونه من المرحومين الى اسفل سافلين بعد ما له قوة الارتقاء الى اعلى عليين ومجاورة المقربين وذلك هو الخسران المبين والعذاب المهين فبمقتضى العقل الصريح المؤيد بالنقل الصحيح يجب على كل انسان خلقه الله

خلقة صحيحة سالمة من النقايص الفطرية والقصورات الخلقية وافاده قوة بها يدرك حقايق الايمان
وآيات القرآن ويعرف بها الحق الاول والملائكة والرسل والكتاب والميزان والحساب والمعاد والنشر
والجنة والرضوان والعقاب والنيران ان لا يقعد من العمل ولا يتأخر الكسل عن تحصيل العلم والعرفان والتخلص عن
شرور هذه النفوس والابدان بمطالعة آيات الله والعلوم المنزلة بالوحي والالهام على النبي وآله عليهم السلم
الذين هم خزاين اسرار الوحي والتنزيل ومعادن جواهر العلم والتأويل وحفظة اسرار اليقين والايمان و
سدنة انوار الحكمة والبرهان لانهم صلوات الله عليهم اجمعين معصومون عن الخطاء والنسيان مطهرون عن السهو
والنقصان بما اذهب الله عنهم من رجس العصيان وطهرهم من دنس الجهالة ووساوس الشيطان فجعلهم الله حججا
على بريته وانصارا لدينه واوعية لاسرار علمه ومستودعا لانوار حكمته واركانا لتوحيده ودليله واكلاء على صراطه وبيده [illegible]
وانوارهم واحدة بعضها من بعض وطينتهم واسرارهم متصلة واحدا بعد واحد والنا وما ولده خلقهم الله من عليين
وجعلهم بعرشه محدقين في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه فولايتهم يسلك سبيل الجنة والرضوان
وعلى من جحد نورهم غضب الرحمن وعذاب النيران وهم العلماء الربانيون والحكماء الالهيون والاولياء الكاملون
وعباد الله المكرمون المحبوبون واهل الذكر الذين عنهم يسألون لقوله تعالى فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون
ثم ان احسن احاديث مذكورة رويت لنا منهم وابهى درر كلمات منثورة نقلت الينا عنهم تحلى اللسان
بجواهر حقايقها وتجلى الانسان في زواهر حدايقها احاديث كتاب الكافي التي الفها وجمعها امين الاسلام
وثقة الانام الشيخ العالم الكامل والمجتهد البارع الفاضل محمد بن يعقوب الكليني اعلى الله قدره واناره في
سماء العلم بدره لقد ساق الله ماء العلم الفرات الطيب من انهار كتابه وجداول فصوله وابوابه الى اراضي
القلوب الزكية الطيبة ليخرج به ثمرات هي اصول اغذية القلوب والارواح وفروع فواكه العقول والالباب
تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل ولكن ربما يقع الماء على السباخ البايرة والصخور القاسية
والبقاع المالحة لسعة رحمة الله وشمول فيضه فاذا وقع العلم في غير اهله ومستحقه ممن غلقت على قلوبهم ابوابه
غير مفتحة لهم بجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء ويكون حجة عليه يوم القيمة بفضل الله بالطبع
مغلق عليه طريقه ومسدود عليه ابوابه فربما كفر واصر وربما سب طالبه كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم وما هم
بخارجين من نار الحسد والاستكبار وشرار الجحود والانكار وعذاب الجهل والاصرار مثلهم كمثل الذي
استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون صم بكم عمي فهم لا يرجعون ولقد
رأينا كثيرا من مدعي العلم والعرفان منتحلي الحديث والقرآن مكبين اولا اليه بتمام الجد والكد ثم عن
قليل يثبطون عن كل فن ليسر غثه ويقنعون عن كل دن منه بجرعة لعدم وجدانهم فيه ما حداهم اليه من الاغراض
الفاسدة والمآرب الباطلة ولهذا لم ينالوا من العلم شيئا ولا النقي منهم بصيرا سعيدا بل ضل به كثيرا ويهدي
به كثيرا وما يضل به الا العالمين بل نرى من المشتغلين من يرجى طول عمره في البحث والتكرار اناء الليل واطراف
الفاسقين

النهار

الاصرار الاثم على المعصية

النهار ثم يرجع بخفي حنين ويصير مطرحا للعار والشين وهم المذكورون في قوله تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين
اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا نعوذ بالله من الغواية والغباوة
ونستعيذ بانواره من شر ما يضلنا عن طريق الهداية فاقول معتصما بحفظه وكرمه شاكرا لجوده ونعمائه
قد صادفت من هذه الاحاديث اصدافا علمية في بحر الحكمة والعرفان مشحونة بجواهر زواهر حقايق الايمان
مكنونة فيها لآلي معاني القرآن مدعمة بدعائم قوانين القرآن البرهان وكنت برهة من الزمان متأملا في
اسرار معانيها متعمقا في بحار مبانيها مستخرجا بقوة الفكر والبرهان فرايد جواهر لآليها شاهدا بنور البصيرة
العرفان وجوه عرايس ابكار لم يطمثهن انس ولا جان وكنت اشاور نفسي واردد قداحي ان اشق للاخوان
الصالحين تلك الاصداف الثمينة واستخرج للطلاب السالكين درها الثمينة واشرح لها شرحا يذلل الصعاب
ويميز من القشر لبابها واروي لهم بصفاء الفكر صفاها من كدرها وانخل بمنخل العقل لبابها من قشرها
وانقد جواهر معانيها واحصل حقايق مبانيها حتى يكون كتابا جامعا لشتات اصول الدين كاشفا عن دقايق
اسرار اليقين يوجد فيه خلاصة اقوال العلماء الراسخين ونقاوة اذواق الحكماء المتألهين وفيه رموز الآيات
القرآنية وكنوز انوار الفرقانية وتاويل الاحاديث النبوية واسرار كلمات الولاية الواردة من اهل بيت
النبوة والولاية سلام الله عليهم في البداية والنهاية ولكن العوايق تمنع عن المراد وعوادي الدهر تضرب
دون بلوغ الامل بالاسداد ولما رايت من قصور الطبايع والاذهان وجمود القرايح على ما سمعوا من الامثال
والاقران ومشاهير الزمان واستبداد الدوران مع ما نشاهد من معاداة الايام بتربية اللئام وتوفير
الجهلة والارذال وشعشعة نيران الجهالة والضلال وتعظيم اعداء العلم والعرفان وخفافيش انوار الحكمة
والبرهان ولقد ابتلينا بجماعة يرون التعمق في الامور الربانية بدعة والتدبر في الآيات الالهية خدعة كانهم
الحنابلة من كتب الحديث المتشابه عليهم الحق والخلق القديم والحديث لم يتعد طورهم عن طور الاجسام
ولم يرتق نظرهم عن الهياكل والاجسام فاعرضوا عن العلوم الالهية والاسرار العظيمة الربانية التي جاء بها الانبياء
ونزلت بها اليهم الكتب من السماء مما مدح الله عليها واثنى على متأمليها في مواضع عديدة من كتابه المجيد الذي
هو تنزيل من عزيز حميد فكنت بقيت على هذا الحال متمسكا عنان الاشتغال حتى التمس مني جماعة من الاخوان
وزمرة من الخلان المستعدين لكشف الاقوال المستضيئين لنور الاحوال وكلما زدت في الاعتذار زادوا
في الاقتراح وكلما ابيت ابوا الا المراجعة في طلب الانجاح حتى اوهنوا عزمي على الاستنكاف ورجحوا
ميلي الى الاسعاف علما مني بان الرحمة الالهية مقتضية لان لا تهمل امرا ضروريا يحتاج اليه الاشخاص
بحسب الاستعداد وان العناية الربانية لا تبخل بشيء نافع في مصالح العباد ذخرا ليوم المعاد فربما اقتضت
رحمته ان لا تختفي في بطون الاستار هذه العلوم المنكشفة من عالم الاسرار ولا تبقى في الكتمان والاحتجاب
الانوار الفايضة من نور الانوار فالهمني الله افاضة مما شربنا من علم القرآن والحديث وسكرنا به من

العكر دردي الزيت والنبيذ ونحوهما

تاويل الاحاديث جرعة للعطاش الطالبين ولمعة لقلوب السالكين ليحيي بها نفس من يشرب منه جرعة ويتنور
قلب من وجد منها اللمعة فرايت ان اشرع في شرح الاحاديث مستمدا من الله مستعينا به من شر كل عنيد
وخبيث واخرج تلك المعاني من القوة الى الفعل والتكميل وابرازها من الخفاء الى الوجود والتحصيل
فاعملت فيه فكري وجمعت على ضم شوارده امري وسالت الله ان يشد به ازري ويحط بكرمه وزري ويشرح
لاتمامه صدري فنهضت عزيمتي بعد ما كانت قاعدة وهبت همتي عن غيها كانت راكدة واهتز الخامل من
نشاطي وتموج الساكن من انبساطي وقلت لنفسي هذا اوان الشروع وشرح اصول تستنبط منها
الفروع وتحلية الاسماع بجواهر المعاني الفائقة وابراز الحق في صورته المعجبة الرائقة غير مبال بانكار
المنكرين واستنكار الجاحدين المتكبرين توكلا على الله ورجاء صنعه في اعانة الصابرين واغاثة الملهوفين
ودفع شرور المعاندين ورد كيد الحاسدين كما قال تعالى قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون قل الحق من ربكم
فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر والرجل المؤمن المتيقن فيما جاءه من الحق وهو على بينة من ربه لا يلتفت
الى المنتهون ولا يبالي اذا اصاب الحق من مخالفة الجمهور فان الجمهور ساكنون في بيت حجابهم مقيمون
في اول نشأتهم ومقامهم وهو مسافر من مقامه مهاجر الى الله ورسوله والمسافر لا بد له من مخالفة المقيم فان
وافق ذلك نظر ابناء الزمان واصحاب البحث والبيان فهو الذي نرجو ونهواه وان لم يوافق نظرهم ولم يهتدوا
بهداه فمعلوم ان الحق لا يوافق عقول قوم قد فسدت فطرتهم بامراض وعلل اعيت اطباء النفوس عن
علاجهم حتى خوطب النبي الهادي ع بانك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء فلا جرم اذا شرعوا
في تحصيل العلم واقتباس النور ما زادهم الا نفورا وغرورا استكبارا في الارض ومكر السيئ ولا يحيق
المكر السيئ الا باهله وليس لنا في هؤلاء واشباههم كلام وكتاب ولا بحث وجواب ولا نداء وخطاب
حسبما قال تعالى ولو جئتهم بكل آية لا يؤمنوا بها وفي الحديث عنه صلى الله عليه وآله ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه
الا الراسخون فاذا نطقوا به لم ينكره الا اهل الغرة بالله ثم اعلموا يا اخواني المؤمنين ان علم الحديث
كعلم القرآن مشتمل على ظاهر وباطن ومجمل ومبين وتفسير وتاويل ومحكم ومتشابه وناسخ ومنسوخ وكما
ان القرآن يوجد فيه من علوم المكاشفة ما يختص بدركه اهل الله خاصة وهم اهل القرآن وهي غوامض
علم التوحيد وعلم الملائكة والكتب والرسل وعلم المعاد وحشر النفوس والاجساد كذلك يوجد فيه من
القصص والاحكام وعلم الحلال والحرام والعقود والمناكحات والبيوع والمعاملات والمواريث والقصاص
والديات ما يعم ادراكه وينتفع به عامة الخلق هذه للدنيا وتلك للآخرة هذه للابدان وتلك الآخرة
للارواح متاعا لكم فهكذا حال الحديث حديث يوجد فيه القسمان علم الدنيا وعلم الآخرة وعلم المعاملة
وعلم المكاشفة وهو يختص بدركه اهل الله وهم المرادون بقوله تعالى ومن عنده علم الكتاب وقوله والراسخون
في العلم والى هذا العلم اشار بقوله ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وبقوله ذلك فضل الله يؤتيه

من يشاء

من يشاء والله ذو الفضل العظيم وهو العلم الممدوح في الكتاب والسنة يفوق من المدائح وصنوف
من الاثنية ويستغفر لصاحبه كل من في السماء والارض من الملائكة والخلائق اجمعين حتى الحيتان في الماء
وهو الذي به يرجح في ميزان الآخرة مداد العلماء على دماء الشهداء الى غير ذلك من المدائح والاثنية
مما لا يعد ولا يحصى لا الذي اكب عليه الاكثرون ويتقرب به الى الله المترسمون من حفظ الاقوال والروايات
وضبط احوال الرجال ثم الاشتغال بمعرفة الفروع الغريبة وطلب ادلتها وعللها واستكثار الكلام فيها
وحفظ الخلافيات حتى ان من كان اشد تعمقا فيها واكثر بحثا واشتغالا فهو الافقه عندهم وربما سئل عن
معرفة شيء من اركان الايمان الذي دل على وجوبها صريح ايات القرآن واحاديث رسول الانس والجان
والائمة عليهم السلام وصلوات الله الرحمن كعلم التوحيد وعلم الآخرة وعلم الملائكة وكيفية انزال الوحي والكتاب
ومعرفة النفس ومقاماتها ونشأتها ونشو الآخرة ومواطنها من القبر والبعث والصراط والميزان والحساب
والموقف والعرض والجنة والنار والثواب والعقاب فلم تجد عنده منها خبرا اصلا الا مجرد الفاظها
المسموعة المستعملة واستوت حاله مع سائر الناس وكذا لم تصادفه مراقبا للاحوال قلبه مراعيا لرعاية شرائط
في الاخلاص حارسا له عما يفسده ويهلكه او يمرضه ويكدره من الاغراض النفسانية والشهوات الدنياوية
بل تراه مشحونا بامراض مهلكة واخلاق مغوية مردية وهو لم يجدها قادحة في علمه وحاله ولا مانعة عن سلامته
في معاده ومآله كانه لم يقرأ قوله تعالى الا من اتى الله بقلب سليم ولم يسمع قوله قد افلح من زكاها وقد خاب
من دسيها والحاصل ان العلم علمان علم مكاشفة وعلم معاملة الاول يطلب لذاته لا لشيء آخر فانه العلم
بالله وصفاته وآثاره والثاني يطلب للعمل به فغايته العمل وغاية العمل تهذيب صفاء الضمير وسلامة النفس
عن التعلقات وصقالة مرآة القلب عما يكدره ويرين عليه ويطبع وهذه الصفا والسلامة ايضا امر عدمي
ليس مقصودا بالاصالة وانما طلب لكونه وسيلة الى ما هو المقصود الاصلي وهو ارتسام صور الحقائق
فيها وتجلي الحق ونعوته وآثاره عليه ومن ظن ان علمه بكيفية الاعمال يكفيه في سلامة العاقبة والمآل
والخلاص عن العذاب وبه ينال درجة اهل الفضل والكمال كان كمن به مرض شديد وكان يعلم كيفية
العلاج وتركيب الادوية فظن ان ذلك يكفيه في خلاصه عن مرضه الجسماني ويشفيه بدون العمل به ولذلك
يزداد مرضه حتى يهلكه ويفنيه وتشديدات عظيمة للعالم التارك للعمل بعلمه فعن امير المؤمنين ع العلماء
رجلان رجل عالم آخذ بعلمه وعنه فهذا ناج وعالم تارك لعلمه فهذا هالك وان اهل النار ليتأذون من ريح
العالم التارك لعلمه وعنه ع من اراد الحديث لمنفعة الدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب وقال اذا رأيتم العالم
محبا الدنيا فاتهموه على دينكم فان كل محب لشيء يحوط ما احب وقال ع اوحى الله الى داود ع لا تجعل
بيني وبينك عالما مفتونا بالدنيا فيصدك عن طريق محبتي فاولئك قطاع طريق عبادي المريدين ان
ادنى ما انا صانع بهم ان انزع لذيذ مناجاتي من قلوبهم وقال ع من طلب العلم ليباهي به العلماء او يماري

به السفهاء او یصرف وجوه الناس الیه فلیتبوء مقعده من النار الی غیر ذلک من الاحادیث والاخبار الکثیرة
فی ذم علماء الدنیا الراغبین فی مالها وجاهها ومن عجیب ما ذکر فی هذا الباب ما نقله الشیخ الفاضل
العامل الکامل ناهج مسالک الورع والیقین قدوة المجتهدین زین الملة والحقیقة والدین العاملی
طاب ثراه فی بعض رسایله ناقلا عن بعض المحققین انه قال العلماء ثلثة عالم بالله غیر عالم بامر الله وعالم
بامر الله غیر عالم بالله وعالم بهما جمیعا فالاول عبد استولت المعرفة الالهیة علی قلبه فصار مستغرقا بمشاهدة نور
الجلال والکبریاء فلا یتفرغ لتعلم علم الاحکام الا ما لا بد منه والثانی هو الذی یعرف الحلال والحرام
ودقایق الاحکام ولکنه لا یعرف اسرار جلال الله واما الثالث فهو جالس علی الحد المشترک بین عالم المحسوسات
وعالم المعقولات فهو تارة مع الله بالحب وتارة مع الخلق بالشفقة والرحمة فاذا رجع من ربه الی الخلق صار
معهم کواحد منهم کانه لا یعرف الله فهذا سبیل الصدیقین وهو المراد بقوله ص سایل العلماء وخالط الحکماء
وجالس الکبراء والمراد بقوله سایل العلماء العلماء بامر الله غیر العالمین بالله فامر بمسائلتهم عند الحاجة الی
الاستفتاء واما الحکماء فهم العالمون بالله الذین لا یعلمون اوامر الله فامر بمخالطتهم واما الکبراء فهم
العالمون بهما فامر بمجالستهم لان فی مجالستهم خیر الدنیا والاخرة ولکل واحد من الثلثة ثلث علامات فللعالم
بامر الله الذکر باللسان دون القلب والخوف من الخلق دون الرب والاستحیاء من الناس فی الظاهر ولا
یستحی من الله فی السر والعالم بالله ذاکر خایف مستحی اما الذکر فذکر القلب لا ذکر اللسان والخوف خوف
الرجاء لا خوف المعصیة والحیاء حیاء ما یخطر علی القلب لا حیاء الظاهر واما العالم بالله وبامر الله فله ستة
اشیاء الثلثة المذکورة للعالم بالله فقط مع ثلثة اخری کونه جالسا فی الحد المشترک بین عالم الغیب والشهادة
وکونه معلما للمسلمین وکونه بحیث یحتاج الیه الفریقان الاولان وهو مستغن عنهما فمثل العالم بالله وبامر الله
کمثل الشمس لا یزید ولا ینقص ومثل العالم بالله فقط کمثل القمر یکمل تارة وینقص اخری ومثل العالم بامر الله
کمثل السراج یحرق نفسه ویضیء غیره انتهی ولیعذرنی اخواننا اصحاب الفرقة الناجیة ما افعله فی اثناء الشرح
وتحقیق الکلام وتبیین المرام من الاستشهاد بکلام بعض المشایخ المشهورین عند الناس وان لم یکن
مرضی الحال عندهم نظرا الی ما قال امامنا امیر المؤمنین ع لا تنظر الی من قال وانظر الی ما قال فها انا اشرع
فی المقصود متمسکا بواهب العلم ومفیض الوجود وباسط الخیر والجود مستعینا بشرح خطبة الکتاب لاشتمالها
علی فواید نفیسة وفواید لطیفة مع حسن البیان ولطف الخطاب فاقول وبالله التوفیق والهدایة وبه
الاستعانة من العوایق والغوایة قال الشیخ رضی الله عنه بسم الله الرحمن الرحیم الحمد فعل هو الوصف
بالجمیل علی وجه التبجیل مختص باللسان ولما فتنه فی هذا الاختصاص مجال وقیل بل هو بالحقیقة فعل
یشعر بتعظیم المنعم من جهة کونه منعما فهو مورد اللسان والارکان والجنان وعن بعض المحققین الحمد اظهار الصفات
الکمالیة لاحد فیعم حمد الانسان وغیره ومن هذا القبیل حمد الله جل ثناؤه علی ذاته وذلک حیث بسط بساط

الوجود

الوجود علی ممکنات لا تعد ولا تحصی ووضع علیه موائد کرمه التی لا تتناهی فقد کشف عن صفات کمالیة بدلالات
قطعیة تفصیلیة غیر متناهیة فان کل ذرة من ذرات الوجود یدل علیه ولا یتصور مثل هذه الدلالات فی
الالفاظ والعبارات ومن ثم قال ص لا احصی ثناء علیک انت کما اثنیت علی نفسک لله اللام للاختصاص
ولام الحمد للجنس فلا یبعد ان یراد ان جنس الحمد مختص به تعالی لان النعوت الکمالیة کلها ترجع الیه لانه فاعلها
وغایتها کما حقق فی مقامه ولانه الموجود الحقیقی کما یعرفه العارفون وثبوت الصفة فرع علی ثبوت الموصوف
لذلک انهم یرون کل قدرة مستغرقة بالذات فی القدرة وکل علم مستغرقا فی العلم بالذات وهکذا فی کل صفة
کمالیة فانت المحامد کلها راجعة الیه تعالی ولهذا ذکر اسم الله دون غیره من الاسماء لدلالته بحسب المفهوم
علی جامعیة الاوصاف الجمالیة والجلالیة کلها وربوبیة انواع الاشیاء کلها وکل اسم غیره انما یدل علی
صفة واحدة وربوبیة نوع واحد ثم لما کان الحمد فعلا اختیاریا حادثا لا بد له من علل اربع دل علی بعضها
بالالتزام احدها الفاعل وهو الحامد وهو المفهوم منه بالالتزام وثانیها القابل وهو اللسان
فی المعنی الاول والثلثة فی المعنی الثانی والموجودات کلها فی المعنی الثالث وثالثها الصورة وهی المحمود
بها التی انشاها الحامد واظهرها من الصفات الکمالیة والنعوت الجلالیة لکل محمود بحسب حاله وکماله
ورابعها الغایة ویقال له المحمود علیه والیه اشار بقوله المحمود لنعمته لکن لما تقرر فی العلوم العقلیة
ان العلة الغائیة لها وجود فی الذهن وبه صارت علة للفاعل فی فاعلیته ولها وجود ایضا فی الخارج وبه یسمی
غایة والغایة فی الحقیقة ما یلحق الفاعل وینتهی الیه نفسه والذی وقع من التقسیم فی المشهور من ان الغایة
قد یکون فی نفس الفاعل کالفرح وقد یکون فی القابل کصورة البیت فی مادته وقد یکون فی غیرهما کمن
یفعل فعلا لرضا فلان غیر مستقیم الا ان یراد بها منتهی الحرکة لا الغایة الحقیقیة فان البانی لبنیان والمحصل
لرضا فلان لا یبنی ولا یحصل الا لمصلحة تعود الی نفسه فالقسمان الاخیران یرجعان الی القسم الاول
وعلیه المعول فمن حمد الله لا یحمده الا لغایة تعود الیه وهی التقرب الیه بالعبودیة اذ لا غایة للعبد فوقها
ولا کمال له اعلی منها ولذلک قدمت فی التشهد علی الرسالة ولا یمکن عبودیته الا بعرفانه والعلم بالهیته
وصفاته العلیا واسمائه الحسنی ولهذا قال المعبود لقدرته اللام فی قوله لقدرته لام التعلیل ای یعبده العابدون
لکونه قادرا علی الاشیاء فاعلا لما یشاء فی حقهم فیعبدونه اما خوفا وطمعا او اجلالا وتعظیما المطاع فی
سلطانه یطیعه الموجودات وما فی الارضین والسماوات لقوله حکایة عن الکل قالتا اتینا طائعین
ولقوله ولله یسجد من فی السماوات والارض طوعا وکرها وظلالهم بالغدو والاصال المرهوب لجلاله
المرغوب الیه فیما عنده الرهبة والرغبة لا زمان فیمن له غایة العظمة والجلال ونهایة اللطف والجمال
بل لا یخلو الجمال عن جلال ولا جلال عن جمال اما الرهبة من الجمال فللهیمان الحاصل من الجمال الالهی
ولانبهار العقل منه وتحیره واما الرغبة فی الجلال فللطف المستور فی القهر الالهی کما قال تعالی ولکم فی القصاص

حوته بأولي الألباب وقال أمير المؤمنين ع كما روي عنه سبحان من اتسعت رحمته لأوليائه في شدة نقمته
واشتدت نقمته لأعدائه في سعة رحمته ومن هيهنا يعلم قوله ص حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات
النافذ أمره في جميع خلقه المراد به أمر التكوين لا أمر التشريع فلله تع أمران أمر تكوين وهو الذي بلا واسطة
مخلوق وأمر تشريع بواسطة الكتب والرسل عليهم السلم والأول نافذ في جميع الخلق ولا يسعهم إلا الطاعة
كما قال تع إنما أمره إذا أراد أن يقول له كن فيكون والثاني مختص بالثقلين فمنهم من أطاع ومنهم من عصى علا فلا
رتبة فوق رتبته فاستعلى أي تنزه عن صفات المخلوقين ودنى فتعالى أما دنوه فلأنه أقرب إلى كل شيء من كل شيء
إذ لا ذرة من ذرات الوجود إلا ونور الأنوار محيط بها قاهر عليها أما تعاليه فلارتفاعه عن صفات الأكوان وسمات
الحدثان فهو العالي في دنوه والداني في علوه وارتفع فوق كل منظر أي لا يصل إليه نظر النظار ولا ينتهي إليه سير
الأفكار الذي لا بدؤ له ولا نهاية ولا غاية لأزليته لارتفاعه عن الأزمنة والزمانيات كارتفاعه عن الأمكنة و
المكانيات وحيث لم يكن مكانيا كانت نسبته إلى الأمكنة واحدة فحيث لا يكون زمانيا يكون نسبته إلى
الأزمنة واحدة فيستوي عنده البدو والغاية والأول والنهاية فأزله أبد وأبده أزل بحسب الزمان كما علوه
دنو ودنوه علو بحسب المكان فهو الأول والآخر والظاهر والباطن القائم قبل الأشياء والدائم الذي به
قوامها يعني أنه تعالى قائم بذاته لا بغيره لأنه واجب الوجود ولو قام وجوده بغيره لكان ممكنا مفتقرا إلى الغير
ولزم الدور فيها وهو قبل الأشياء لافتقارها إليه إما بوسط أو بغير وسط لأنها ممكنة فينتهي سلسلة افتقارها
إليه تعالى دفعا للدور والتسلسل وهذه القبلية قبلية بالذات لتعاليه عن الزمان فهو الدائم الذي به قوام
الموجودات فهو القائم بذاته المقوم لغيره وهذا هو معنى القيوم والقاهر الذي لا يؤده حفظها لا يؤده أي لا
يثقله ولا يشق عليه حفظ الأشياء يقال آده يؤده أودا إذا أثقله وأجهده وأودت العود أودا إذا اعتمدت
عليه حتى أملته وفي إيراد صفة القهر هيهنا إشارة إلى الدليل على كونه مما لا يتعبه ولا يثقله حفظ الأشياء
لأن إيجاده وإدامته لها على سبيل الترشح والفيض لا على وجه الاستكمال والانفعال كما في غيره من الفاعلين
إذ ما من فاعل غيره إلا ويفعل لغرض زائد على ذاته ويستكمل في فاعليته بذلك الغرض الذي يعود إليه وينفعل
منه والانفعال يلزمه التعب والكلال والانتقال من حال إلى حال والقادر الذي بعظمته تفرد بالملكوت
وبقدرته توحد بالجبروت الملكوت من الملك بالكسر وهو كالمملكة في المعنى كما أن المملكة كالملك بالضم
فيه وخص استعماله في المملكة الباطن فيقابل الملك أي المملكة الظاهرة والجبروت إنها فعلوت من الجبر
وأنه تعالى جبار لأنه يجبر نقائص الممكنات بإفاضة الخيرات عليها ويكسو العناصر صور المركبات فيجبر
نقصانها خص استعماله في عالم الإلهية وقيل الجبروت فوق الملكوت كما أن الملكوت فوق الملك والمراد
أنه منفرد بمالكية الأشياء ظاهرها وباطنها لأن الملك هو الغني مطلقا الذي لا يستغني عنه شيء من الأشياء
والقادر الذي لذاته كل شيء لأنها حصلت إما منه أو مما منه فكل شيء غيره فهو له مملوك وليس له إلى

شيء

شيء فقر وبحكمته أظهر حججه على خلقه الحكيم هو المحكم خلق الأشياء والإحكام هو إتقان التدبير وحسن
التصوير والتقدير والحكيم أيضا الذي لا يفعل قبيحا ولا يخل بواجب والذي يضع الأشياء مواضعها والحكيم
العالم لاشتقاقه من الحكم بمعنى التصديق أو من الحكمة والحكمة لغة العلم ومنه قوله تع يؤتي الحكمة من يشاء وعن ابن
عباس الحكيم الذي كمل في حكمته والعليم الذي كمل في علمه والحجج جمع الحجة وهي في اللغة أولا بمعنى القصد ومنه
المحجة جادة الطريق ثم غلب على قصد الكعبة للنسك والحجة بمعنى الغلبة فحجه أي غلبه والمحجوج المغلوب فاستعمل
بمعنى الدليل إذ به يحصل الغلبة على الخصم كما في قوله ولقد حاج إبرهيم وقوله وتلك حجتنا آتيناها إبرهيم نرفع درجات
من نشاء ثم استعمل بمعنى الرسول والإمام إما من باب المبالغة مثل زيد عدل أو لأن ذواتهم أدلاء إلى الخلق
الحق فيكونون حججا على الخلق والمعنى أن حكمته تعالى اقتضت إظهار الحجج على الخلائق ببعثة الأنبياء ونصب
الأوصياء ع ليكمل الخلقة ويتم النعمة إذ بدون ذلك لا ينتظم النظام ويقع الهرج والمرج والانثلام والانهدام
كما بين في موضعه اخترع الأشياء إنشاء وابتدعها ابتداء بقدرته وحكمته لا من شيء فيبطل الاختراع ولا
لعلة فلا يصح الابتداع الاختراع والابتداع لغتان متقاربتان المعنى وهو إيجاد الشيء لا عن أصل ولا على
مثال ومن أسمائه تعالى البديع وهو فعيل بمعنى المفعل كالأليم بمعنى المؤلم والبديع قد يجيء بمعنى المفعول أيضا
والبدع هو الذي يكون أولا في جنسه ومنه قوله تعالى ما كنت بدعا من الرسل أي لست بأول مرسل والمراد أنه
تع أوجد الأشياء بنفس قدرته لا عن مادة وبمحض حكمته لا لغرض وغاية أخرى غير ذاته لكان ناقصا في فاعليته
إذ لو أوجدها بواسطة أصل وعنصر لافتقر في فاعليته إلى سبب آخر منه الأصل فلم يكن مخترعا كاملا في صنعه
ولو أوجدها لغرض وغاية أخرى غير ذاته لكان ناقصا في فاعليته فلم يكن مبدعا لأن الغرض وهو العلة
الغائية ما يجعل الفاعل فاعلا فالأول إشارة إلى نفي العلة المادية عن فعله والثاني إلى نفي العلة الغائية
عنه خلق ما شاء كيف شاء لما نفى الغاية عن فعله يوهم أنه ليس فاعلا بالاختيار فأزاح ذلك بأنه يفعل الأشياء
كما شاء فيكون بمشيته أي بإرادته يفعل الخلق لكن مشيته كقدرته ليست غير ذاته ليلزم أن يكون لغيره تأثير
في فعله فإن من فعل فعله بإرادة زائدة على ذاته كان محتاجا في قدرته وإرادته إلى مرجح زائد عليه يرجح أحد طرفي
مقدوره لتعلق الإرادة به فكانت ذاته مستكملة بذلك المرجح بحصوله أو لوليته لها بسببه وإلا لم يفعل به وكل
مستكمل بغيره ناقص في ذاته والله منزه عن النقصان وأيضا إذا كانت المشية زائدة عليه يلزم في ذاته تعالى
جهتا قوة وفعل وحيثيتا إمكان ووجوب فلم يكن واحدا حقا وأشار إلى نفي الزيادة بقوله متوحدا بذلك
لإظهار حكمته وحقيقة ربوبيته يعني خلق ما شاء حال كونه وحدانيا ذاتا وصفة إذ لم يخلق الأشياء إلا لإظهار
علمه بالنظام الأكمل الذي هو حقيقة إلهيته وربوبيته لا لغاية أخرى وداع آخر يدعوه إلى الخلق والإيجاد
لا تضبطه العقول ولا تبلغه الأوهام ولا تدركه الأبصار الإدراك على ثلثة أقسام لأنه عبارة
عن حضور شيء عند المدرك وهو إما جسماني أو مفارق عن الأجسام والمفارق إما مفارق بالكلية عنها

او متعلق بها مضاف اليها فالاول هو المحسوس وادراكه بالحس واقوى اقسامه واجلاها هو البصر والثاني
هو المعقول وادراكه بالعقل والثالث هو المفهوم وادراكه بالوهم يريد نفي كونه تعالى مدركا لغيره بنحو
من الانحاء الثلثة والبرهان عليه ان كل ماله صورة مساوية لحقيقته فهو محتمل الشركة بين كثيرين
والله منزه عن المثل والشريك ومما ورد في الحديث ان الله احتجب عن العقول كما احتجب عن الابصار وان
الملاء الاعلى يطلبونه كما انتم تطلبونه ثم المدرك بالحس لا يخلو من حد ومقدار واليه اشار بقوله ولا يحيط
به مقدار لتنزهه عن الجسمية وما يكتنفها عجزت دونه العبارة وكلت دونه الابصار بفتح الالف اى قصرت دون
وصف عبارة البلغاء وحيرت من عند ادراكه ابصار البصراء وضل فيه تصاريف الصفات اى ضل في طريق
نعته نعوت الناعتين وصفات الواصفين بفنون تصريفاتها وانحاء تقاديرها وتعبيراتها اى كلما
حاولوا ان يصفوه تعالى باجل ما عندهم من صور الصفات الكمالية واعلى ما حضر في عقولهم من مفهومات
النعوت الجمالية فاذا نظروا اليه وحققوا امره ظهر لهم ان ذلك دون وصف جلاله واكرامه وسوى نعوت
جماله واعظامه فلم يصفوه بما هو وصفه ولم ينعتوه كما هو حقه بل رجع ذلك الى وصف امثالهم واشباههم
من الممكنات كما في الحديث المشهور عن الباقر ع كلما ميزتموه باوهامكم في ادق معانيه الى وذلك معنى ما
في الادعية التماوية من قوله ع ضلت فيك الصفات وتفسخت فيك النعوت احتجب بغير حجاب محجوب و
استتر بغير ستر مستور يعني ان احتجابه عن البصائر والابصار واستتاره عن العقول والانظار ليس من جهة
خفائه في نفسه لانه اظهر الاشياء واجلى الموجودات ولا من جهة مانع يحجبه او ساتر يستره اذ لا حجاب بينه
وبين خلقه الا قصور القرائح ونقصان المدارك والعقول بل غاية ظهوره سبب بطونه ونهاية جلائه
منشا خفائه فهو من حيث هو ظاهر باطن ومن حيث هو متجل محجوب ومن حيث هو مشهور مستور وقوله
حجاب محجوب الاولى كونه بالاضافة بمعنى اللام لا بالتوصيف وكذا قوله ستر مستور عرف بغير رؤية قد تقرر
في العلوم العقلية ان كل ما لا سبب ولا جزء له لا يمكن عرفانا بطريق الفكر والبرهان بل اما مجهول
محض ما يوس عن معرفته واما مستدل عليه من جهة الاثار والافعال والعلم الحاصل من طريقها علم ناقص
لا نعلم به خصوصية ذات المعلوم بل بوجه عام مشترك بينه وبين غيره اذ الاثر والمعلول لا يقتضي الا
سببا ما علة ما مطلقا واما معروف بالمشاهدة الحضورية لا بصورة زائدة كما هو حال العرفاء الكمل من الانبياء
والاولياء على نبينا وعليهم عند انخلاعهم عن هذه النشأة ولكن لا على سبيل الاحاطة والاكتناه لانها
ممتنع كما مر بل على وجه الاستغراق والاندكاك وفي بعض النسخ بغير رؤية بالهمزة والتخفيف يريد نفي الابصار
ومعناه ظاهر وسلامة الاول قوله ووصف بغير صورة اشارة الى نفي الحد له عنه كما ان الاول اشارة الى
نفي البرهان عليه عنه اذ الحد التي هو الصورة المساوية لذاته وكل ما يوصف بحد لا بد ان يكون له مهية
كلية مركبة من جنس وفصل والحق تعالى بسيط الحقيقة وجوده عين ذاته بلا مهية فلا حد له كما لا برهان عليه

ونعت

ونعت بغير جسم ولا جسماني هذا من قبيل عطف العام على الخاص اللهم الا ان يراد من الصورة الشكل
ونحوه كما ترى لا اله الا الله الكبير المتعال لما ذكر من صفات التنزيه وعلم من نعوت التقديس ما دل على التوحيد
ونفي المثل والشريك واثبات العظمة والتقديس صرح بالمقصود اى بكلمة التوحيد والتنزيه التي بها يمتاز الموحد
عن المشرك ثم اردفها بصفات اخرى توجب زيادة المعرفة وقوة الايمان وشدة نور العرفان فقال ضلت الاوهام
عن بلوغ كنهه وذهلت العقول ان تبلغ غاية نهايته لا يبلغه حد وهم ولا يدركه نفاذ بصر النفاذ والنفوذ بمعنى
واحد من نفذ السهم من الرمية ونفذ الكتاب الى فلان وامره نافذ اى ماض وهو السميع العليم لا بالة ولا قوة
زائدة بل سمعه عبارة عن علمه بالمسموعات وكذا بصره علمه بالمبصرات وعلمه عبارة عن احاطة ذاته بالاشياء على وجه
الانطواء من غير ان تصير اجزاء ذاته كما هو التحقيق لما ذكر من المعارف ما يدل على الالهية والتوحيد اخذ فيما
يدل على الرسالة والبعثة فقال احتج على خلقه برسله واوضح الامور بدلائله ولما كلف الله العباد بمعرفته وعبادته
لان المعرفة غاية وجودهم وغرض خلقهم كما في قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اى ليعرفون
ومعرفتهم بالله وباليوم الاخر لا يحصل الا من طريق النبوة والرسالة لان عقولهم غير كافية فيها سيما ما يتعلق
منها باحوال المعاد وحشر الاجساد فيحتاجون الى معلم بشري وهو النبي والرسول ع او من يستخلفه فالمعرفة موقوفة
على بعثة الرسل ع لان ما لا يتم الواجب المطلق الا به فهو واجب المطلق فالبعثة واجبة عليه تعالى لئلا يكون للناس حجة
على عباده ثم لا يحصل العلم بالرسول ع الا بالدلائل فيجب على الله تعالى نصب الدلائل والمبينات على حقيتهم لتعين ما ذكرنا
من توقف الواجب عليه وابتعث الرسل مبشرين ومنذرين صيغة ابتعث متعدية الى المفعول يقال بعثه وابتعثه
اى ارسله ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة اى ليموت من يموت عن بينة عاينها ويعيش من يعيش عن
حجة شاهدها لئلا يكون للحجة على الله بل يكون لله الحجة البالغة على خلقه اوليصدر كفر من كفر وايمان من
امن عن وضوح بينة على سبيل استعارة الهلاك والحيوة للكفر والايمان او لان الكفر سبب للهلاك الحقيقي
الاخروي والايمان سبب للحيوة الحقيقية الابدية فيكون من باب المجاز المرسل تسمية للمسبب باسم المسبب
والمراد بمن هلك ومن حي المشارف للهلاك والحيوة او من هنا وذاك حاله في علم الله وفضائل التفضل
العباد عن ربهم بتعليم الانبياء وارشادهم عليهم السلم ما جهلوا من احوال المبدء والمعاد فيعرفوه تعالى ويقدسوه
بربوبيته بعد ما انكروه بترك عبادته وطاعته ويوحدوه بالالهية بعدها ما اضدوه بالتشريك وعبادة
الاصنام والهياكل ولما ذكر الاحد الله تعالى على نعم العامة التي اشترك فيها الخلق المسلم والكافر ثم ذكره من
نعوته وصفاته ثم ما يتعلق بايضاح الحجج وابتعاث الرسل ع ولا شك ان هذه نعمة خاصة جليلة شريفة اجل
واشرف مما تقدم فيقتضي حمدا وشكرا اخص واعظم من الاول فلذلك استانف الحمد مرة اخرى فقال حمدا
حمدا يشفي النفوس ويبلغ رضاه ويؤدي شكرها وصل الينا من سوابغ النعماء وجزيل الالاء التي من جملتها
بعث الانبياء واقامة الحجج والالاء والسبوغ بمعنى الاتساع والكمال وسبغت النعمة اى كملت واسبغ

الاتمام والجزل ما عظم من الحطب ويبس وعطاء جزل وجزيل عظيم والاضافة فيهما من اضافة الصفة الى الموصوف
اى النعماء الواسعة والالاء العظيمة وجميل البلاء هو بمعنى الاختبار والامتحان من بلاه وابتلاه وابلاه وبلاه
اى اختبره وخبر به وهو يكون فى الخير والشر اى بلاء حسنا جميلا فيكون من النعم الخاصة ثم لما حمد الله وشكره
على النعم الخاصة المتعلقة بامر الرسالة والهداية كرّ راجعا الى كلمة التوحيد مضموما اليها الاقرار بافضل الانبياء
وخاتم الرسل عليه وعليهم السلم فاقر بالشهادتين اللتين هما جزءا الاسلام فقال واشهد ان لا اله الا الله
وحده لا شريك له الها واحدا صمدا لم يتخذ صاحبة ولا ولدا واشهد ان محمدا صلى الله عليه واله عبده المنتجب
اى المختار ورجل نجيب اى كريم من النجابة ورسوله ابتعثه على حين فترة من الرسل الفترة فى الاصل بمعنى
الضعف والانكسار ويقال لما بين الرسولين من رسل الله عليهم السلم وطول هجعة من الامم الهجوع النوم ليلا
والتنبه بعد هجعة من الليل اى بعد نومة قليلة منه والمراد هيهنا غفلة الامم بفقدهم الرسول ع وانبساط من
الجهل واعتراض من الفتنة وانتقاض من المبرم المراد به تطرق الخلل الى القوانين الشرعية ووقوع القصور
فى الاحكام الدينية يعنى انه اظهره حين ما كان الناس احوج الى من يهديهم الى الصراط المستقيم ويدعوهم الى الدين
القويم بنظم الامور وضبط حال الجمهور وذلك من جهة تفرق السبل والانحراف فى الملل واختلال للدلائل واشتعال
نار الضلال واشتغال الناس بالمحال فالعرب على عبادة الاوثان ووأد البنات والفرس على تعظيم النيران
ووطى الامهات والترك على تخريب البلاد وتعذيب العباد والهند على عبادة البقر وسجود الحجر والشجر
واليهود على العناد والجحود والنصارى على الافتراء فيمن ليس بوالد ولا مولود وعمى عن الحق واعتساف
من الجور وامتحاق لمن الدين محقه محقا اى ابطله ومحاه وتمحق الشيء وامتحق اى بطل افليلق بحكمة افيليق
الملك الحق المبين ان لا يرسل رحمة للعالمين ولا يبعث من يجدد الدين ويكشف عن وجه اليقين
فلا جرم ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وانزل اليه الكتاب فيه البيان و
التبيان قرانا عربيا غير ذى عوج لعلهم يتقون قد بينه اى بين الله تعالى والرسول ع القران للناس
كلما خفى عليهم من امر الدين ونهجه بالتخفيف اى اوضح طريقه وابان لهم من نهجت الطريق ابنته واوضحته
وقد يجيء نهجته بمعنى سلكته بعلم قد فصله اى بسبب علم الهى ازلى افاد تفصيله عليهم فى القران ان كان فاعل بين
هو الله او بعلم نبوى فصل به مجملات الكتاب ان كان الفاعل هو الرسول ودين قد اوضحه والاول
اشارة الى علم الحقيقة والايمان والثانى اشارة الى علم الطريقة والعمل بالاركان ولهذا عقبه
وعطف عليه توضيحا بقوله وفرائض قد اوجبها واوامر قد كشفها لخلقه واعلنها اى اعلن تلك الفرائض
والاوامر [illegible] مبتدأ لا اقدم عليه خبره للطرفية الى النجاة متعلق بالمبتدأ او كذلك قوله ومعالم عطفا
على دلالة وقوله تدعوا الى هداه صفة لمعالم والهدى ما يهتدى به والضمير المجرور اما لله اى هدى الله
وهو دينه الحق او للرسول او الكتاب والاضافة على الاخيرين بيانية فبلغ صلى الله عليه واله ما ارسل

الباء

الباء للملابسة اى ارسل الى الخلق متلبسا به من القران او الرسالة وصدع بما امر كما قال تع فاصدع
بما تؤمر اى اظهر دين الاسلام والصدع الشق وقد صدعته فانصدع وصدعت الفلاة قطعتها وصدعت
الشيء اظهرته وبينته وصدعت بالحق تكلمت به جهارا وادى ما حمل من اثقال النبوة الاثقال جمع الثقل
ضد الخفة كما فى قوله تع واخرجت الارض اثقالها اى اجساد بنى ادم وقد يجيء على جمع ثقل بمعنى المتاع
وقد يحمل عليها ايضا معنى الاية والمراد هيهنا هو الاول وفيما ذكره استعارة بان المراد من الامانة فى قوله تع
انا عرضنا الامانة الى قوله وحملها الانسان هى النبوة لا العقل كما قيل لانتقاض الحكم بالملك ولا التكليف
لشموله للجن ولهما ولا المجموع لاجل ذلك ولا الهيئة الاجتماعية التى فى الانسان لحصولها فى العالم الكبير وصبر
على المحن والشدائد والاذى من القريش واليهود وغيرهما لربه اى للتقرب اليه وجاهد مع اعداء الله فى سبيله
ونصح لامته ودعاهم بالحكمة والموعظة الحسنة الى النجاة وحضهم اى حثهم التحضيض اى التحريض على الذكر اى
ذكر الله تع بالقلب واللسان ويحتمل ان يكون المراد به الصلوة والدعاء ودلهم على سبيل الهدى من بعده
بان استخلف بعده كتاب الله واهل بيته عليه وعليهم السلم كما فى قوله انى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى
واليه اشار بقوله بمناهج اى الطرق الواضحة ودواعى اى اسباب بهما يسلك طريق النجاة وسبل الحق
اسس للعباد اساسها اى اصل تلك المناهج والدواعى ومنائر جمع منارة مفعلة بفتح الميم من الاستنارة
يقال لما يوضع عليه السراج ولما يؤذن عليها وقياس جمعها مناور ولكن قد يورد بالهمزة تشبيها للاصل
بالزائد كما فى مصائب والمراد هيهنا ما يتضح ويستنير بها طريق الحق رفع لهم اعلامها اى نصب للامة اعلام
تلك المنائر ففيه اشارة الى نشر الهداة بعد رسول الله ص وهم اهل بيته عليهم السلم اولا بما يوضع عليه السراج
على سبيل الاستعارة للجامع بين الاضاءة الحسية والعقلية ثم تشبيه تارة اخرى نصبهم للخلافة برفع الاعلام
على الطريق التمثيل لكيلا يضلوا بفتح الباء من بعده فى طريق الاخرة بفقد الدلائل والاعلام والقواعد
وكان بهم صلى الله عليه واله رؤفا رحيما الواو اما للعطف على الافعال الماضية او للحالية والجملة حال عن
الضمير المرفوع المستكن فى واحد واحد منها او عن المرفوع البارز فى يضلوا فلما انقضت مدته اى مدة
عمره واستكملت ايامه اى ايام بقائه وحيوته فى الدنيا توفاه الله اى اخذه كله وفيه اشعار بان الروح يباشر
الكمل ببعض قواه فى البدن الدنيا لا بكلها كما يعرفه المحققون وكذا فى حالة النوم تبقى منها فى البدن كما
سينكشف من بعض الاحاديث فيما سياتى وقبضه اليه اى قبض روحه بتمامه اليه سبحانه وهو عند الله مرضى
عمله حال من الضمير المفعول او عن الفاعل وافر خطره عظيم خطره اى قدره فمضى صلى الله عليه وخلف فى امته
كتاب الله ووصيه امير المؤمنين وامام المتقين صلوات الله عليه صاحبين اى مصاحبين لا ينفك
احدهما عن الاخر مؤتلفين يتم كل منهما بالاخر يوجه ان يشهد كل منهما لصاحبه بالتصديق
فيشهد الكتاب بان عليا صلوات الله عليه ولى الله لقوله انما وليكم الله الاية ولقوله اطيعوا الله

واطيعوا الرسول واولي الامر منكم ولقوله هو مولاه وجبرئيل وصالح المؤمنين وغير ذلك من الآيات
ويشهد هو عليه السلم بان القرآن بما فيه يحتاج لعلمه بظاهره وباطنه ومحكمه ومتشابهه وناسخه ومنسوخه
ومفهومه ومنطوقه وعامه وخاصه وهو المراد في قوله تعالى ومن عنده علم الكتاب وقوله فاسئلوا اهل
الذكر ان كنتم لا تعلمون وقوله لعلمه الذين يستنبطونه منهم فيطلق الامام عن الله في الكتاب بما اوجب الله
فيه على العباد من طاعته وطاعة الامام وولايته واوجب حقه الذي اراد للوصول وحينه صفة لحقه اي
من واجب حق الله الذي اوجبه على العباد في الكتاب وهو المبين بقوله من استكمال دينه اي دين
الله واظهار امره والاحتجاج بحججه لا بغير تلك الحجج التي عينها للاحتجاج والاستضاء بنوره الذي اودعه
في معادن تلك المعادن اهل صفوته اي خلص عباده فان كل شئ خالصه ومختاره ومصطفى اهل خيرته
اي المختار من مختاريه ومصطفى من مصطفيه فاوضح الله بائمة الهدى من اهل بيت نبينا عن دينه
ما خفي على الناس من معالم الدين ومعارف الحق واليقين وابلج اي اضاء والبلوج الاشراق
وقد بلج الصبح اي اضاء وصبح ابلج اي بين البلج اي مشرق مضئ وكذلك الحق اذا اتضح يقال الحق
ابلج كذا في الصحاح وقد يستعمل متعديا ايضا كاضاء واشرق بهم عن سبيل مناهجه وطريق معالمه من
آيات الكتاب وشواهد السنة فانها مناهج الى الله استضاءت سبيل معرفتها بتعليمهم عليهم السلم
وفتح بهم عن باطن ينابيع علمه اي ينابيع علم الله تعالى او العلم به تعالى شبه العلم بالماء استعارة بالكناية
واثبت له الينبوع تخييلا ولعل المراد بالينابيع آيات القرآن وجعلهم مسالك لمعرفته اذ بسبب معرفتهم
يوصل الى معرفة الله فهم عليهم السلم بوجه ابواب بها يستضاء سبيل طريق الحق والرضوان وبوجه
آخر طرق ومسالك الى الله وبوجه آخر معالم الدين لانهم اعلام وصوائر يستدل بها على الطريق وبوجه
آخر صوار وحجابا بينه تعالى وبين خلقه لانهم واسطة بين الخلق والحق وبوجه جعلوا الباب
المؤدي الى معرفة حقه اذ بهم يتأدى العارف الى مدينة المعرفة كما في قوله صلى الله عليه وآله انا مدينة
العلم وعلي بابها وكذا حكم اولاده المعصومين ع اطلعهم الله اي جعلهم مطلعين من قولك اطلعتك
على سري والاطلاع بالتشديد الاشراف والوقوف على المكنون من غيب سره مما لا يمكن الاطلاع
عليه لغيرهم فهم حفظة لسره خزنة لعلمه وودايع لحكمته وانهم اركان لتوحيده وشهداء على خلقه واعلام لعباده
ومنائر في بلاده وادلاء على صراطه فاحتاج الخلايق الى وجودهم اذ بهم يتم النظام ويكمل بتعليمهم دين
الاسلام فلا جرم لا تخلو الارض منهم جميعا كلما مضى منهم امام نصب لخلقه من عقبه اي من بعده
ان كان المكتوب بحرف جر ومجرورها او من عقبه الله الماضي ان كان موصولة وصلة اماما حال
من الموصول او مفعول لنصب بينا صفة للامام بين الامامة لظهور الآيات والكرامات منه مع دعوى
الامامة وهاديا نيرا يضيء القلوب بهدايته وارشاده واماما قيما بامر الامة يهدون بالحق اما صفة او حال

اوخبر

اوخبر مبتدا اي يهدون الناس محقين او بكلمة الحق او يهدون الى الحق ويرشدون اليه وبه اي وبالحق
يعدلون بين الناس في الحكم او به يحكمون ويعدلون في حكمهم وهم كلهم حجج الله على خلقه ودعاة لهم الى الحق
والدين ورعاة جمع الراعي وكذا الرعيان والرعاء كما في قوله تعالى حتى يصدر الرعاء والراعي هو الوالي والامير
العامة كانهم شبهوا بالانعام لانهم قبل ان يكملوا كالانعام في الحيرة والضلالة على خلقه بالحراسة والارشاد
يحرسونهم ويرشدونهم الى سبيل الخير والنجاة ولولاهم لضلوا وهلكوا ايدين بهداهم العباد وتستهل اي
تتبين بنورهم البلاد جعلهم الله حيوة للانام لانهم سبب ايمانهم الذي يحيون به كما فيه تسمية السبب باسم
المسبب ومصابيح الظلام اذ بنورهم يهتدون في ليالي حجب الاجسام وظلمات هذه الابدان فيسلكون
سبيل الحق والظلام اول الليل ومفاتيح الكلام اي القرآن اذ بتعليمهم يتفتح ما يستغلق على القلب ودعائم
الاسلام ويحفظ بناءه بواحد منهم بعد واحد كمن يمسك سقفا بدعامات يقيم كلا منها بدل الاخر جعل
نظام طاعته وتمام فرضه على العباد التسليم اي ان يسلموا اليهم فيما علم اي فيما هو معلوم والرد اليهم فيما جهل
اي ان يردوا اليهم ع فيما هو مجهول على الناس اي يرجعوا اليهم لا الى غيرهم في رفع الجهولة ولا ان يعملوا
بالقياس فيها لقوله تعالى فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون واليه الاشارة بقوله وحظر اي حجر وحرم على غيرهم
في وقاحتهم التهجم هو الوقوع على الشئ من غير ملاحظة والهجوم الدخول على الشئ بغتة من غير استيذان على القول
بما يجهلون ومنعهم جحد ما لا يعلمون كما في قوله تعالى فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وانتم لا تعلمون
لما اراد الله تبارك وتعالى تعليل للمذكور استنقذهم بما تقدم في سابق علمه تعالى وتعلقت به مشيته من
بيانه استنقاذ من شاء من خلقه اي نجاتهم وتخليصهم من ملمات الظلم اي نار لانها من قولهم الم به اي نزل
به ومغشيات البهم اي مغطياتها من الغشاوة وهي الغطاء قال تعالى فاغشيناهم فهم لا يبصرون اي غطيناهم والبهمة
الجيش والفارس الذي لا يدري من اين يأتي من شدة الباس والجمع بهم وكلام مبهم لا يعرف له وجه وصلى الله
على محمد واهل بيته الاخيار الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا عطف على قوله الحمد لله الى آخره كما عطف
الصلوة على الحمد في ساير الخطب بان ادرج نعت النبي واهل بيته عليه وعليهم الصلوة والسلام في حمد الله تعالى
والثناء عليه جعل نعوتهم متعلقة بحمده وثنائه اشعارا بغاية قربهم لديه وكمال منزلتهم عنده اما بعد فقد فهمت
يا اخي ما شكوت من اصطلاح اهل دهرنا اي تسالمهم تصالحهم وتوافقهم من قولهم اصطلحوا وتصالحوا اذا
تراضوا ولم يتخاصموا والتصالح والمصالحة خلاف التخاصم والمخاصمة على الجهالة اي كونهم سووا فقوون
ويتجانبون لاجل الجهالة المشتركة التي استحسنوها اي استنكافهم عن طلب العلم وتوازرهم اي تعاونهم
الفاء من ازر تعاونه والمشهور وازره وسعيهم في عمارة طريقها بارتكاب الشهوات واقتراف السيئات و
اقتناء الاموال وتقرب السلاطين ومعاشرة الارذال ومباينتهم العلم واهله وتنفرهم عن صحبة العلماء ومجلس
العلم اذا اتفقوا حتى كاد العلم معهم اي بينهم وتنوءهم اي لاماتة والضعف ان يارز اي ينقص وينقطع مواده

لما قد اعرضوا عنه ورضوا ان يسندوا الى الجهل صريحا من غير مبالاة وبضعوا العلم واهله برفع اعلام
الجهالة ورايا تها وخفض علامات العلم وايا ته واسترذالهم العلماء والحكماء واستعظامهم الجهال والاغبياء
كما هو حال اهل زماننا هذا بعينه من انحرافهم عن المعرفة والحكمة فتجدونها معاندين فيمنعونها مكابرين
اذ قد توحشت طباعهم عن نورها واشمازت عنها اشمئزاز المزكوم عن رايحة الورد واستيحاش الخفافيش
عن ضوء الشمس وكل من كان في بحر الجهل اولج وعن باب العلم والكمال اخرج كان عند ارباب الزمان افضل والى
اوج القبول والجاه اوصل كما قيل كم عالم لم يلج الابواب وسئلت هل تبيع الناس المقام على الجهالة في امر الدين
وطريق العبودية لرب العالمين وسلوك صراط المستقيم والتمسك بشريعة سيد المرسلين صلوات الله
عليه وعليهم وآله اجمعين والمتدينين بغير علم اذا كانوا داخلين في الدين بمجرد القول واللسان مقرين بجميع امور
على جهة الاستحسان او العادة والاستيناس من غير حجة وبرهان ومن جهة التسوق بالتحريك عليه في بعض النسخ
والتشوق عليه وفي نسخة والتشوق بالقاف يقال رجل تشوق اذا كان دخل في امور لا يكاد يتخلص منها والتقليد
للآباء والاسلاف والكبراء وهذا حال اكثر ابناء الزمان من المنتسبين الى العلم المتوسمين بالفقر اذا اقيم عليه
البرهان فيما خالف رايهم بعض قواعد العقايد واصول المعارف لم يأتوا بشيء يسمن ويغني الا بالنقل من بعض
المشايخ والاسلاف ولم يعلموا ان هذا بعينه ما ذمه الله تعالى في مواضع عديدة من القرآن والاتكال على
عقولهم في دقيق الاشياء وجليلها واصول المعارف وفروعها اشارة الى ان الاتكال على عقول الاسلاف انما
يجوز في المحسوسات والفروع لا غير فاعلم يا اخي شرع في الجواب عن استفتائه بتمهيد مقدمة وهي ان الله تبارك
وتعالى خلق عباده وهي افراد البشر خلقة اي فطرة منفصلة عن البهايم في الفطن في اكثر النسخ بالنون جمع الفطنة
وهي الفهم والذكاء وفي بعضها الفطر بالراء جمع الفطرة وهذه اولى لان الكلام في اصل الخلقة والفطنة والفطانة
من الامور العارضة ولانها انسب بقوله كل مولود يولد على الفطرة لانها جعلت اسما للخلقة القابلة لدين الحق
على الخصوص ثم جعلت اسما للملة الاسلام نفسها لانها حالة من احوال صاحبها وعليه قوله صم فصل الاطفال من الفطرة
والظاهر ان الصورة الاولى من تصرف الكتاب والعقول المركبة منهم هذا مبتدأ موصوف خبره قوله محتملة للامر والنهي
بخلاف البهايم فانها لا تفهم الخطاب لنقصان نفوسها وانحطاطها عن درجة الذوق بالامر والنهي الا صوتا ونداء
وجعلهم الى ذكره وخلقهم جل ذكره مع اشتراكهم بينهم فيما يمتازون عن ساير الحيوانات في اصل الفطرة صنفين
صنفا منهم نصب على البدل والاولى كونه مرفوعا كما هو المتعارف في مثل هذا الموضع بان يكون مبتدأ خبره اهل الصحة
والسلامة واما اذا كان منصوبا على كونه مفعولا ثانيا لخلق لم يبق لهذا الكلام محل من الاعراب وكذا قوله
وصنفا منهم اهل الضرر والزمانة وكانهم ضرايروزمنا في الجوهر الباطن والاول اشارة الى ضعف القوة النظرية
التي يقال له العقل النظري والثاني الى اختلال القوة العملية التي يقال لها العقل العملي فان قلت ما سبب هذا
الانقسام وما الباعث على هذا التفاوت بين الانام بعد ان كان الكل مقدورا له مخلوقا بامره وقضائه

فقدره

وقدرنا بالبال لا يتساوى في الخيرات والشرور ولا يتعادل في الكمال والقصور ولم لا يتشاكل في التوفيق و
الخذلان والثواب والخسران ولا يتماثل فاين عدل الله فينا وقد قال تعالى وما انا بظلام للعبيد وما ظلمنا هم
ولكن كانوا هم الظالمين قلنا ان في الجواب عن هذا السؤال تفصيلا لا يليق بهذا الموضع وانما يطلب
في كتبنا المبسوطة لتوقفه على علوم كثيرة شامخة ولا يمكن الجواب بما تقوله الاشاعرة ومن يحذو حذوهم
من انه تعالى يفعل بالاختيار والعالم ملكه ومملكته وللمختار ان يفعل في مملكته وملكه ما يشاء ويتمسكون
بقوله لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فانه تعالى اجل واعظم من ان يفعل باختياره لا لحكمة وغاية بل بمجرد الارادة
الجزافية نعم لا يكون لفعله المطلق ولا لما يبدعه اولا غاية غير ذاته فذاته غاية قريبة له كما انه فاعل قريب له
وهو غاية الغايات المتوسطة كما انه فاعل الفواعل ومبدع البدايع ولو لم يكن السؤال بلم صحيحا لما وقع من داود
على نبينا وعليه السلام في قوله لم خلقت الخلق ولما وقع الجواب عنه تعالى لقوله خلقت الخلق لكي اعرف على طبق
ما قال في القرآن وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وكلمة لام للتعليل واما القدر المناسب لهذا الموضع من
الجواب فهو انه كما ان الانواع متخالفة في الحقايق بعضها في الطبقة الاولى من الممكنات لقربها من الله تعالى كالملائكة
المقربين وبعضها في الطبقة الثانية كمدبرات السماوات وهكذا حتى ينتهي الى الارضيات فلا يرد السؤال بانه
لم كان العقل اشرف من الجسم ولم كانت السماء افضل من الارض ولم صار الانسان اشرف من الحمار والكلب ولم صار
عين الكلب نجسا وعين الماء طاهرا لان الاعيان والمهيات غير مجعولة وانما الحق افاضة الوجود عليها فهذه المقالات
من لوازم الوجود والايجاد والمحال غير مقدور فكذلك نقول في اختلاف اصناف الانسانية بان الارواح
الانسية بحسب الفطرة الاولى مختلفة في الصفا والكدورة والضعف والقوة والقهر والنهاية والصحة والسلامة
ودرجات القرب والبعد من الاعتدال الحقيقي فقدره الله تعالى المواد السفلية التي بازاء كل منها بحسب الخلقة
متباينة في اللطافة والكثافة ومراجاتها متباينة في القرب والبعد من الاعتدال الحقيقي فقدر الله تعالى
بازاء كل روح ما يناسبه من المواد فحصل من مجموعها استعدادات مناسبة لبعض العلوم والادراكات دون
بعض موافقة لبعض الاعمال والصناعات دون اخر على قدر ما في العناية الاولى والقضاء السابق كما قال صم
الناس معادن الحديث فلاجل ذلك تختلف الدواعي والارادات وتتفنن الاشواق والحركات فيسرع بعضهم
بالطبع الى ما ينفر عنه الآخر ويستحسن احدهم بهواه ما يستقبحه غيره ومع ذلك العناية الالهية تقتضي نظام الوجود
على احسن ما يمكن واتم واكمل فلو امكن احسن من ما هو عليه لوجد ولكن لا يمكن كما قال تعالى لآتينا كل نفس
هديها ولكن حق القول الابتداي ولو شئنا لجعلهم لجعلناهم على نهج واحد ولكن ينافي الحكمة لبقائهم على طبقة
واحدة وبقاء ساير الطبقات الممكنة في حد الامكان مع عدم الظهور ابدا وخلو اكثر مراتب هذا العالم
عن اربابها فلا يتمشى الامور الخسيسة والدنية المحتاج اليها في العالم التي يقوم بها اهل الحجاب والقسوة
والظلمة البعداء عن الرحمة والمحبة والنور والعزة فلا ينضبط نظام المسلمين ولا يتم الصلاح المهذبين ايضا

ولو شئنا

لوجود الاحتياج الى ساير الطبقات فلو كان الناس كلهم انبياء واولياء وسعداء لاختل الامر بعدم النفوس
الغلاظ وشياطين الانس القايمين بعمارة العالم فوجب فى الحكمة الالهية التفاوت فى الاستعدادات بالقوة
والضعف والكمال والنقص ولهذا ورد فى الخبر انى جعلت معصية آدم سببا لعمارة العالم وفى الخبر لولا انكم تذنبون
لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون وعن رسول الله صلى الله عليه وآله حكاية عن ربه انين المذنبين احب الى من زجل المسبحين
ولذلك قال لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين فخص اهل الصحة والسلامة بالامر والنهى بعد ما اكمل لهم آلة
التكليف وهى العقل الحاصل لهم فى سن البلوغ خاليا عما يعرض من الجنون والاغماء وشبههما ووضع التكليف
عن اهل الضرر والزمانة انفذ خلقهم خلقة غير محتملة للادب والتعليم اى الاداب العقلية والنسك الالهية
والعلوم الحقيقية والمعارف اليقينية والا فالقسمان كلاهما مكلفان بالاوامر والنواهى الشرعية والاعمال
الظاهرة من الصلوة والطواف والزكوة والصيام وغيرها من الاعمال البدنية والطاعات المالية وجعل عز وجل
سبب بقائهم وغاية خلقتهم والغرض من وجودهم اهل الصحة والسلامة وكذلك جعل بقاء اهل الصحة والسلامة
بالادب والتعليم لانهما غاية خلقتهم والغرض من وجودهم لان سبب وجودهم وكونهم فى الدنيا انما هو ان تتنور
بالادب بواطنهم وتصفوا ارواحهم ويتجردوا عن الدنيا وتتنور عقولهم بالعلوم الالهية والصفات الملكوتية
والاخلاق النبوية ليلحقوا ويتصلوا بالملاء الاعلى ويتخلصوا عن المنزل الادنى فلو كانت الجهالة جائزة
لاهل الصحة والسلامة لجاز وضع التكليف عنهم وفى جواز ذلك اى وضع التكليف عنهم واهمالهم سدى كما فى
الناس من الجهال والسفهاء بل كساير الحيوانات بطلان الكتب والرسل والاداب لصيرورتها ح عبثا
وهباء لان الغرض من ارسال الرسل وبعث الانبياء وانزال الكتب ونصب الاوصياء هو تكميل العباد
وتعمير الاخرة بارواح العلماء ونفوس العباد والزهاد فاذا بطل الغرض والغاية بطل السبب والعلة وفى ابطالها
اعنى رفع الكتب والرسل والاداب فساد التدبير لان نظام الكائنات وبقاء الخلايق لاجل الانسان وكمال
الانسانية وجودته الدائمة وبقائه لا يتم الا بالكتب والرسل كما بين وحقق من حاجة الخلق الى بعثهم وايجاب
طاعتهم وتاييدهم بالايات والمعجزات والرجوع الى قول اهل الدهر وهو من غير واحد وهم من الطاعنين والمنجمين
المنكرين للنشاة الاخرة والبعث وقولهم كما حكاه الله تعالى ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا
الا الدهر فوجب فى عدل الله وحكمته ان يخص من خلق من خلقه خلقة محتملة للامر والنهى بالامر والنهى اى
يخص هذا الصنف بالخطاب ويامرهم بامور مخصوصة وينهاهم عن امور اخرى مخصوصة لا يحتملها الصنف الاخر
لئلا يكونوا سدى مهملين عما من شانهم وفى غرايزهم ان يكتسبوه ويستكملوا به من العلم والطهارة وليعلموا
بانه ليس بجسم ولا جسمانى ليس بخارج منه من العالم ولا بداخل فيه ولا فى وهم ولا فى عقل ولا يوصف بكم ولا كيف
ولا صفة ولا صورة ويوحدوه بانه لا يقبل القسمة بالاجزاء الحد ولا بالافراد والعد ويقروا له بالربوبية لكل
شئ فى السماوات والارضين وليعلموا انه خالقهم ورازقهم وخالق جميع الموجودات ورازقها اذ شواهد ربوبيته

دالة

دالة ظاهرة على ذوى الالباب وحجة نيرة على اولى الايدى والابصار واعلام لائحة على هؤلاء تدعوهم الى
توحيد الله عز وجل تضطرهم الى الاقرار بالالهية والاعتراف بوحدانيته وعلمه وقدرته وجوده وكرمه ولطفه
ورحمته وصفاته العظمى واياته الكبرى واسمائه الحسنى واياته العليا وتشهد عطف على تدعوهم اى تشهد تلك
الشواهد والحجج والاعلام على انفسها اى انفس تلك الموجودات التى هى الشواهد والاعلام لصانعها بالربوبية
والالهية لما فيها من اثار صنعه وعجايب تدبيره كما يدل عليه علم الهيئة وعلم التشريح وعلم اثار الكائنات وعلم الحيوان
وعلم النبات وعلم خواص الادوية والمركبات وعلم عجايب المخلوقات وادل واشهد من هذه العلوم كلها علم النفس
الادمية وتشريح قواها الروحانية والجسمانية لاشتمالها على نسخة ما فى العالمين وفيها انموذج من كل شئ يوجد
فى النشاتين كما قيل ليس من الله بمستنكر ان يجمع العالم فى واحد فدلهم الى معرفته اى ارشدهم اليها لئلا
يبيح لهم ان يجهلوه اى ليعلموا ان لا يجوز لهم الجهل بمعرفته ويجهلوا دينه وهو دين الاسلام واحكامه لان الحكيم
تعالى شانه لا يبيح الجهل به والانكار لدينه لمن له اهلية العلم وقوة الاجتهاد فقال جل ثناؤه الم يؤخذ عليهم ميثاق
الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق دلت الاية على انه تعالى اخذ على اهل الكتاب الميثاق اى اوجب عليهم
القول بالحق وحرم عليهم ان يقولوا فى صفات الله وافعاله واحكامه الا الصواب وان يفتروا على الله كذبا ويجروا
عليه تعالى بما تنزه عنه من الولد والصاحبة والتجسيم والتحديد والتشبيه وغير ذلك مما منشاؤه الجهل بالله وباياته
وقال بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه وبخهم وذمهم بالتكذيب والانكار لما جاءت به الكتب والرسل بسبب ما لم يعلموا
ولم يحيطوا به علما من احوال المبدء والمعاد بل القران مشحون بمذمة الذين لا يعلمون والذين يتكلمون بغير علم ويحكمون
من غير حجة وبرهان والذين يقولون امنا ولم تؤمن قلوبهم وقد شبه الله تعالى الجهال تارة بالانعام بل هم اضل
سبيلا وتارة بالدواب وتارة بالحمار ومرة بالكلب ومرة مسخهم قردة خاسئين ومرة الحقهم بالشياطين
وطورا دعا عليهم بقوله قاتلهم الله انى يؤفكون وقوله فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا كما انه مشحون بمدايح العلم
والحكمة والامر بالتفكر والتدبر فى ايات لا تحصى وكانوا محصورين بالامر والنهى امر الله ونهيه محدودين
بحدود الشرع مكلفين بمعرفة الله واياته وكتبه ورسله مامورين بقول الحق اى بان يقولوا الحق او مامورين
بالاوامر والنواهى بسبب قول الله وحكمه فى الكتاب والاول اولى لدلالة قوله غير مرخص بكسر الخاء لهم فى المقام
على الجهل لانه سبحانه امرهم بالسؤال والتفقه فى الدين فقال فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين
ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم وقال فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون استشهد بالاية الثانية على وجوب
السؤال وبالاية الاولى على وجوب التفقه فى الدين اذ فيها الامر به على ابلغ وجه لان معناها فهلا نفر من كل
جماعة كثيرة كاهل بلدة او قبيلة جماعة ليتكلفوا الفقاهة فى الدين والمعرفة باصول الايمان وقواعد العقائد على اليقين
ويتجشموا مشاق تحصيلها وقوله ولينذروا قومهم اذا رجعوا معناه ولكن غاية نفرهم وسعيهم بعد تحصيل المعرفة واليقين
النصيحة لقومهم والوعظ لهم والانذار عند الرجوع كما هو دأب الساكين الى الله من الانبياء والاولياء عليهم فانهم

بتعوا اولا فى استكمال نفوسهم وطلب الفرقة التى تم اذا فرغوا من التحصيل ورجعوا الى مواطن النفوس وبغا لم يصلوا الحقوق اشتغلوا بالتكميل والارشاد بعد التكميل والارشاد واما الذى ذكره صاحب الكشاف بقوله وليجعلوا اهم غرضهم ومرمى همتهم فى التفقه انذار قومهم وارشادهم والنصيحة لهم لا ما ينتحيه الفقهاء من الاغراض الخسيسة ويؤمونه من المقاصد الركيكة من التصدر والترأس والتبسط فى البلاد والتشبه بالظلمة فى ملابسهم ومراكبهم ومنافسة بعضهم بعضا وفشو داء الضرائر بينهم وانقلاب حماليق احدهم اذا لمح ببصره مدرسة لاخر فدخوا بين يديه جماعة وتهالكه على ان يكون موطأ العقب دون الناس كلهم فما ابعد هؤلاء من قوله تعالى تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا انتهى ففيه مع اشتماله على كلمات رشيقة ونكات بليغة موضع نظر حيث جعل الانذار والنصيحة اخر القصد ومرمى الهمة فى التفقه وجرى على مناهج البيضاوى انتهى ولم يتفطنا ايضا بانه مما لا يساعده اللفظ لوجود لام العلة فى التعليل فيكون ليندروا عطفا على ليتفقهوا باعادة لام العلة ولو لم يكن الواو وكان لما ذكره وجه لكن ليس فلا وجه لجعل الانذار غاية العلم والفقاهة لفظا ولا معنى اللهم الا ان يكون المراد بالفقه مجرد العلم بالفنا الفرعية واحكام المعاملات والمبايعات وقسمة المواريث والمناكحات والحدود والقصاص ونحوها مما يخوض فيه المتاخرون ويسمونه فقها ذكر شيخنا البهائى وسندنا فى العلوم النقلية روح الله روحه فى كتابه الاربعين عند شرح قوله صلى الله عليه وآله من حفظ على امتى اربعين حديثا يحتاجون اليه فى امر دينهم بعثه الله عز وجل يوم القيمة فقيها عالما ليس المراد بالفقه فيه الفقه بمعنى الفهم فانه لا يناسب المقام ولا العلم بالاحكام الشرعية فى امر الدين والفقه اكثر ما يأتى فى الحديث بهذا المعنى والفقيه هو صاحب هذه البصيرة واليه اشار النبى صلى الله عليه وآله بقوله لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يمقت الناس فى ذات الله وحتى يرى للقرآن وجوها كثيرة ثم يقبل على نفسه فيكون لها اشد مقتا ثم هذه البصيرة اما موهبية وهى التى دعا بها النبى صلى الله عليه وآله لامير المؤمنين عليه السلام حين ارسله الى اليمن اللهم فقهه فى الدين او كسبية وهى التى اشار اليها امير المؤمنين عليه السلام حيث قال لولده الحسن عليه السلام وتفقه يا بنى فى الدين قال بعض الاعلام اراد به الشيخ الغزالى صاحب كتاب الاحيا ان علم الفقه فى العصر الاول انما كان يطلق على علم الاخرة ومعرفة دقايق آفات النفوس ومفسدات الاعمال وقوة الاحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع الى نعيم الاخرة واستيلاء الخوف على القلب ويدل عليه قوله تعالى فلولا نفر من كل فرقة الاية وما به الانذار والتخويف هو هذا العلم وهذا الفقه دون تفريعات الطلاق واللعان والسلم والاجارة فذلك لا يحصل به انذار وتخويف بل التجرد على الدوام يقسى القلب وينزع الخشية كما نشاهد من المتجردين فمعلوم ان ذلك لا يترتب الا على تلك المعارف لا على ما ذكروه من معرفة فروع الطلاق والمساقاة والسلم وامثال ذلك واما العلم فالمراد به قريب مما يراد من الفقه لا المعانى المصطلحة المستحدثة كحصول الصورة والصورة الحاصلة عند العقل او ملكة يقتدر بها على ادراكات جزئية وما اشبه ذلك فان العلماء ورثة الانبياء وليس من هذه المعانى ميراث الانبياء

فقد

وقد قال تعالى وانما يخشى الله من عباده العلماء فقد جعل العلم موجبا للخشية والخوف لتعليق الحكم على الوصف فجميع ما ارتسم فى ذهنك من التصورات والتصديقات التى لا يوجب لك الخشية والخوف وان كان فى كمال الدقة والغموض فليس من العلم فى شئ بمقتضى الاية الكريمة بل هو جهل محض بل الجهل خير منها انتهى كلامه قال ولعمرى انه كلام دقيق انيق يليق ان يكتب بالنور على صفحات خدود الحور انتهى كلام شيخنا البهائى طاب ثراه ولنرجع الى ما فارقناه فلو كان يسع اهل الصحة والسلامة المقام على الجهل لما امرهم بالسؤال ولم يكن يحتاج الى بعثة الرسل بالكتب والاداب والثانى باطل لما تقدم من انه يستلزم فساد العالم وبطلان النظام وايضا لو صح ذلك لكانوا اى اهل الصحة والسلامة يكونون عند ذلك اى عند المقام على الجهل بمنزلة البهائم وبمنزلة اهل الضرر والزمانة والفرق ان هؤلاء لهم عذاب اليم فى القيمة لمكنة استعدادهم التى ابطلوها وقوة مرآة بصيرتهم التى افسدوها دون الطايفة الاخرة لانه مختوم على قلوبهم الاول سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم فليس عذابهم اليما وان كان عظيما كعذاب لوقن بالقياس الى عذاب المسبوع ولو كانوا كذلك لما بقوا طرفة عين اى لو كانت هذه الطايفة كالطايفة الاخرى حتى صار الناس كلهم كالبهائم لهلكوا بغير اجر العقوبة من غير مهلة لما سبق من ان النظام لا يتم الا باهل الشريعة والدين واصحاب المعرفة واليقين فلما لم يجز بقاؤهم الا بالادب وجب لكل صحيح الخلقة كامل الالة من مؤدب ودليل ومشير وآمر وناه وسؤال ومسئلة وادب وتعليم حتى يخرج بهذه الامور جوهر عقله من حد النقص الى حد الكمال ومن القوة الى الفعل وتصفى عين قلبه عن غشاوة الظلمات وحجب الجهالات ويخرج من ظلمات هذا العالم الى عالم النور كما فى قوله تعالى الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور فاحتوى ما اقتبس العاقل من مشكوة النبوة والولاية والتفسير المذكور واستخرجه من الكتاب والسنة وسعى له الموفق المصيب العلم بالدين اى باصوله واركانه اى معرفة ما كلف الله به عبادة سواء كان علما او عملا وقوله من توحيده بيان للعلم بالدين او للدين نفسه وقوله وشرايعه مع ما عطف عليه بيان لما استعبد الله وامر به خلقه والمراد من التوحيد عند اهل الحق هو معرفة ما استعبد الله به خلقه بالعلم بالله ووحدانيته وصفاته وافعاله وملائكته وانبيائه واوليائه وكتبه ورسله وكيفية الوحى والرسالة والانزال والتنزيل والالهام والعلم بالافاق والانفس ومعرفة النفس الانسانية وقواها العلمية والعملية وكيفية استكمالها بالعلم والعمل وما الذى يسعدها من العلم وما الذى يشقيها وما الذى ينفعها يوم الاخرة من العلوم والاحوال والحركات والاعمال ومعرفة يوم القيمة ومعنى قيام الساعة ومعرفة القبر والبعث والحساب والميزان والكتب وكرام الكاتبين والحفظة لاعمال بنى آدم وملائكة اليمين وملائكة الشمال وملائكة الرحمة والرضوان وملائكة العذاب والمالك وكيفية نشو الاخرة من الدنيا ومعرفة الجنة واصحابها والنار واهلها والشفاعة لاهل الكبائر من المؤمنين وان الايمان وان كان ضعيفا لا يخلد صاحبه فى النار وان عدمه وفقده لا ينفع شئ من الطاعات وان كان اكثر من رمل البطحاء وقطر السماء الى غير ذلك من الامور التى ليست عند اكثر المتسمين بالعلماء الا الفاظها او مدلولاتها اللغوية وكذا بعد اتقان هذه الاصول العلمية معرفة شرايعه العملية واحكامه الفرعية وامره ونهيه اى ما امر به ونهى عنه وزجره واداب فعليه على التعلم

والتادب وان هذه الامور احق واولى بالاقتباس والالتماس كانت الحجة تامة على اهل الصحة
والسلامة والتكليف لازما والعمر كبيرا والزمان للتحصيل والاكتساب قصيرا فلا يبع الا لما هو الاحق
والاتم فهو ما ذكر من الامور والتسويف غير مقبول والشرط من الله جل ذكره فيما استعبدهم الفران يودوا
جميع فرايضه بعلم ويقين وبصيرة فالعلم لان المقصد من وظايف الفرايض والطاعات ان يكون تاديتها وسيلة التقرب
الى الله تعالى والزلفى لديه فلا بد ان تتادى بعلم وبصيرة فالعلم بما يتقرب به اليه روح العمل ولا يحصل الا به ولا يتقوم
دونه فانما الاعمال بالنيات اى بالعلم بها وبما يودى اليه ليكون المودى لها محمودا عنده موجبا للثواب
وعظيم جزائه لان الذى يودى بغير علم وبصيرة لا يدرى ما يودى ولا يدرى الى من يودى فغير العارف به لا
يمكنه قصد التقرب اليه ولان المودى للفرايض اذا كان جاهلا لم يكن على ثقة مما ادى ولا مصدقا بان ما يفعله
من صورة الاعمال والطاعات نافعة له يوم القيمة منجية له من العذاب لان المصدق مما لا يودى لا يكون مصدقا
حتى يكون عارفا بما صدق به من غير شك ولا شبهة لان للتصديق مراتب ادناها ان يكون مجردا للتقليد كايمان
العوام بما يسمعون من غير دليل واوسطها ما يكون بحسب دليل ظنى يرجح احد الطرفين على الاخر واعلاها ما يكون
ببصيرة قلبية وبرهان عقلى وهو اليقين ويسمى بالعرفان وصاحبه بالعارف وهذا هو التصديق بالحقيقة
دون الاولين لان كلا منهما يزول بادنى سبب بطرء واول شك يقدح على القلب سيما عند تصادم الاحوال
وظهور مبادى الاخرة وناصية ملك الموت وضعف الاعتقاد وانه اذا لم يكن التصديق عن بصيرة ويقين
لم يترتب عليه الاثر والغاية التى لاجلها كما ينبغى لان الشاك المتزلزل الغير المثبت ولا الواثق بدين الحق
لا يكون له من الرهبة والرغبة والخضوع لله تعالى وطلب التقرب اليه مثل ما يكون من العالم وفى بعض النسخ
الغالب بدل العالم المتيقن وقد قال الله عز وجل الا من شهد بالحق وهم يعلمون فجعل العلم وهو اليقين
شرطا للشهادة لانهم يرون ضارت الشهادة مقبولة لعلة العلم بالشهادة وبما يشهد به ولولا العلم بالشهادة
وما يشهد به لم تكن الشهادة مقبولة والامر فى الشاك المودى بغير علم وبصيرة كالمقلدين والجهال الى الله
الله جل ذكره اى مشيته وارادته من غير وجوب ولزوم بل ان شاء تطول عليه فقبل عمله وان شاء رد عليه
لان الشرط عليه من الله ان يودى المفروض بعلم وبصيرة ويقين كى لا يكونوا ممن وصفه الله فقال تبارك وتعالى
ومن الناس من يعبد الله على حرف اى على طرف من الدين لا ثبات له كالذى يكون على طرف من الجيش
فان احس بظفر قام والا فر فان اصابه خير اطمان به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والاخرة
بذهاب عصمته وبطلان عمله بالارتداد او بتغير فى الدنيا بارتكاب التكاليف وعذابه فى الاخرة
بكفره ذلك هو الخسران المبين اذ لا خسران مثله واعلم ان فى قوله ان شاء تطول عليه فقبل عمله وان
شاء رد عليه موضع نظر بحسب الظاهر اذ ليست مشية الله وارادته عند هذه الطايفة الفاترة مما يصح
تعلقها بشئ من الطرفين الا لداع ومرجح لاستحالة الترجيح عندها من غير مرجح والتحقق والمقام

ان الايمان

ان الايمان ايمانان تقليدى كايمان العوام ومن يجرى مجراهم وايمان علمى كشفى يحصل بانشراح الصدر بنور الله
الموهوب او المكسوب كما قال الله عز اسمه فمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فكشف له بهذا
النور وجود الحق وصفاته وافعاله كما هو عليه فيتضح له ان الكل من الله ومرجعه ومصيره اليه تعالى فهذا الصنف من
الاعلى المومنين هم النازلون فى الفردوس الاعلى فى غاية القرب من الملاء الاعلى من العليين وهم على اصناف
بحسب درجات معرفتهم وقوة ايمانهم وشدة يقينهم واعداد تلك الدرجات لا يعد ولا يحصى اذ الاحاطة بكنه
المعرفة لا يمكن وبحر المعرفة ليس له ساحل ولا لعمقه نهاية وانما يخوض الغواصون فيه بقدر قواهم واما المومن
ايمانا تقليديا فهو من اصحاب اليمين ان بقى على ايمانه الى حين الموت ودرجته دون المقربين هذا حال من اجتنب
الكباير وادى كل الفرايض اعنى الاركان الخمسة واما من ارتكب كبيرة واهمل بعض اركان الاسلام فان تاب
واصلح قبل الموت التحق بمن لم يرتكب لان التايب من الذنب كمن لا ذنب له وان لم يتب فهذا امر مخطر عند الموت
اذ ربما يكون موته على الاصرار سببا لزوال ايمانه فيختم له بسوء الخاتمة والختم على الشك والجحود والمقت فان الايمان
اذا كان تقليديا وان كان جزما فهو قابل للانحلال بادنى شبهة وخيال واعلم ان سوء الخاتمة والختم على الشك
والجحود والمقت والشقاوة يتصور على نحوين ويختص سببه فى وجهين احدهما يتصور مع تمام الورع والزهد
كالمبتدع الزاهد فان عاقبته مخطرة جدا اذا اعتقد فى ذات الله وصفاته وافعاله خلاف ما هى عليه اما برايه
وقياسه الفاسد واما اخذا بالتقليد فمن هذا حاله فاذا قرب الموت وظهرت له ناصية ملك الموت واضطربت
النفس بما فيها فربما ينكشف له فى حال السكرة بطلان ما اعتقده وكان واثقا برايه متيقنا فى اعتقاده فيكون
انكشاف بعض اعتقاداته سببا لبطلان وتوقفه فى ساير اعتقاداته بالله ورسوله والائمة عليهم السلم فان اتفق
زهوق روحه فى هذه الخطرة فقد ختم له بالسوء وخرج روحه من الدنيا على الشك نعوذ بالله وهم المرادون
بقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وثانيهما ان يغلب على قلبه عند الموت حب امر من امور الدنيا و
شهوة من شهواتها فيتمثل ذلك فى قلبه ويستغرقه حتى لا يبقى فى تلك الحالة متسع لغيره فيتفق قبض روحه فى تلك
الحالة فيكون استغراق قلبه بذلك منكسا راسه الى الدنيا وصارفا وجهه اليها ومهما انصرف الوجه عن الله
حصل الحجاب ومهما حصل الحجاب استحق العقاب ونزل العذاب اذ نار الله الموقدة لا تاخذ الا المحجوبين
فاما المومن السليم قلبه عن حب الدنيا المصروف همه الى الله تعالى فتقول له النار جز يا مومن فان نورك قد اطفى لهبى
فالامر مخطر على من احب الدنيا ولا يمكن اكتساب صفة اخرى للقلب بعد الموت تضاد الصفة الغالبة عليه اذ
لا تصرف فى القلوب الا باعمال الجوارح وقد بطل بالموت الا ان اصل الايمان وحب الله اذا كان راسخا
فى القلب وتاكد ذلك بالاعمال الصالحة فان هذه الحالة العارضة تمحو عن القلب وذلك الرسوخ لا يمكن
الا بان يكون الايمان عن بصيرة وكشف وبرهان لا عن تقليد او تعصب او جدل كلامى فهذا معنى قوله ان
شاء تطول عليه فقبل عمله وان شاء رد عليه اى مشيته تعالى غير معلومة فى حقه اذ لم يكن ايمانه متثبتا بل متزلزلا

غيرمأمون الغائلة ولا معلوم العاقبة لامكان زواله بالشك والجحود او بالاحتجاب وانتكاس الرأس
الى اسفل سافلين والى ما ذكرنا بقوله اشار لانه كان داخلا فيه بغير علم ولا يقين فلذلك صار خروجه
بغير علم ولا يقين وقد قال العالم هو الامام الهمام ابو الحسن موسى الكاظم عليه السلم فانه المراد بالعالم اذا اطلق
وكذا الفقيه او العبد الصالح وكذا اذا اطلق ابو الحسن واذا قيد بالثانى فالمراد به الرضا عليه السلم واذا قيد
بالثالث فالهادى عليه السلم واذا اطلق ابو عبد الله فهو الصادق عليه السلم من دخل فى الايمان بعلم ثبت فيه ونفعه
ايمانه ومن دخل فيه بغير علم خرج منه كما دخل فيه اى خرج من الايمان بغير علم بل بادنى شبهة او تقليد لمن يغويه
ويضله وقال عليه السلم من اخذ دينه من كتاب الله وسنة نبيه صلوات الله عليه واله زالت الجبال قبل ان يزول ومن
اخذ دينه من افواه الرجال ردته الرجال والمراد من الاول ما يكون اخذه منهما على بصيرة وفهم ومع قوة له على
الاستنباط منهما ومن الثانى ما يكون اخذه بمجرد التقليد وسماع اللفظ من غير تعلم وتفقه ولا ريب
على اخذ من المعلم كان احكم واتقن مما يستنبط الانسان بفهمه من الكتاب والسنة وقوله عليه السلم من افواه الرجال
اشارة الى ما ذكر وبالجملة ملاك الامر هو صفاء القلب وجلاء البصيرة التى بها يمكن ان يهتدى ويتنور
بنور القران والحديث هداية من الله وقال عليه السلم من لم يعرف امرنا من القران لم يتنكب الفتن اى لم يمكنه التنكب
عن طريق الفتن كفتنة الشر والشكوك وفتنة القبر وفتنة الدجال ونحوه من المضلين والمغوين ولهذا
اى ولاجل عدم اقتباس العلم والمعرفة من طريق الحق ومنهج القران والحديث بل بالرأى والقياس
او بطريق التقليد والاقتداء بالناس والاخذ من افواه الرجال من غير بصيرة وكشف وبينة من الرب
انبثق على اهل دهرنا بثوق هذه الاديان الفاسدة اى انشقت عليهم شقوق هذه الاديان الباطلة
والخروق الجمالهم الذى كان فى عهد النبى صلى الله عليه وآله وتفرقت الامة على نيف وسبعين فرقة ففرقوا دينا وتقطعوا امرهم بينهم
زبرا من بثق السيل موضع كذا بثقا وبثوقا اذا خرقه وشقه فانبثق اى انفجر وانخرق والمذهب المستشعر
التى قد استوفت شرائط الكفر والشرك كلها لقوله صلى الله عليه وآله ستفترق امتى على ثلث وسبعين فرقة الناجية منها
واحدة يعنى ان غير الواحدة الناجية كلهم هالكون مخلدون فى النار ولا معنى للكفر والشرك الا ما يوجب
الخلود فى النار والا فالدخول بلا دوام قد يجامع الايمان مع الاخلال او الاصرار على الكبائر فذلك اى
الافتراق فى الدين والانقسام على الناجى والهالك او المثبت والمتزلزل وهو اوفق بما سياتى بتوفيق الله
عز وجل وخذلانه المبيان عن عناية الله وقضائه اذ التوفيق جعل الاسباب بعناية الله متوافقة مؤدية
الى المطلوب والخذلان بخلافه كما فى قوله فمن اراد الله توفيقه وان يكون ايمانه ثابتا مستقرا سبب له الاسباب
التى تؤديه الى ان ياخذ دينه من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه واله بعلم ويقين وبصيرة فذاك انبت
فى دينه من الجبال الرواسى ومن اراد الله خذلانه وان يكون دينه معارا مستودعا وفى بعض النسخ مستعارا
والاول اولى لاغناء قوله معارا عنه وقوله نعوذ بالله منه اعتراض وقع بين الشرط والجزاء من قوله

سبل

سبلى اسباب الاستحسان والتقليد والتاويل من غير علم وبصيرة فذاك فى المشية ان شاء تبارك وتعالى اتم ايمانه وان
شاء سلبه اياه ولا يؤمن عليه ان يصبح مؤمنا ويمسى كافرا او يمسى مؤمنا ويصبح كافرا كما وصف الله به المنافقين فى قوله
ذلك بانهم امنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يؤمنون وقوله ان الذين امنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليهديهم
الاية لانه كلما راى كبيرا من الكبراء مال معه وكلما راى شيئا استحسن ظاهره قبله لعدم بصيرته الباطن وفقد نور القلب
عنه فلا يدرك من الاشياء الا الظواهر المحسوسة ولا يستحسن من الانسان الا الاعمال البدنية او عموم اعتراف
الخلق له بالفضل والامامة وان كان مع افلاس قلبه من العلم والحال بل مع تلطخه بالجهالة والظلمات وتدنسه بارذ ناس
الملكات المهلكات واعلم ان من هذا القبيل من ياخذ العلوم من الالفاظ المنقولة المأولة والعمومات المخصصة
فكان الضلال والاضلال عليه اغلب ما لم يهتد بنور الله الى ادراك الامور على ما هى عليه كما فى قوله تعالى ومن
لم يجعل الله له نورا فما له من نور وقوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وايات كثيرة وقوله ومن يهد الله فهو المهتدى
وقوله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء وايات كثيرة كلها تدل على ان الايمان نور ربانى قذفه الله فى قلب المؤمن بحسب
ما قدره الله وقضاه وكذا مقابله من ظلمة الكفر والجهالة لكن لكل من الطرفين مراتب متفاوتة فى الكمال والقصور والشدة
والضعف فالكاملون فى النور والهدى والقرب من الله هم الانبياء ثم الاوصياء ثم الامثل فالامثل والبالغون
فى ظلمة الكفر والضلال والبعد عن رحمة الله هم الفراعنة والدجاجلة ثم ائمة الضلال ورؤساء الكفرة والمنافقين
ثم الاشبه فالاشبه وبين هذين الطرفين اوساط كثيرة لا تعد ولا يحصى عددهم اكثر من عدد الاقوياء الكاملون
فى نور البصيرة وقوة اليقين او البالغون فى ظلمة النفس ورسوخ الجهل فعلى هذا انقسمت النفوس على الاجمال
الى ثلثة اقسام احدها الكاملون الراسخون فى العلم والنور وثانيها الراسخون فى الكفر والظلمة الجاحدون
للنور والحق وثالثها الناقصون فى الطرفين المترددون بين السعادة والشقاوة والاولان معلوما العاقبة
دون الثالث كما يعلم من هذا الحديث وقد قال العالم عليه السلم ان الله خلق النبيين على النبوة فلا يكونون الا انبياء
وخلق الاوصياء على الوصية فلا يكونون الا اوصياء وهم الراسخون فى العلم والايمان واعار قوما ايمانا فان شاء
تممه لهم وان شاء سلبهم اياه قال وفيهم جرى قوله فمستقر ومستودع وانما يعلم منه حال الطرف الاخر الذى يعرف بضده
فيستفاد من حال الانبياء والاوصياء حال اضدادهم فكانه قال عليه السلم ان الله خلق الفراعنة ومن يليهم من الجاحدين
على الكفر والفساد والاضلال فلا يكونون الا كفرة مفسدين وهم الراسخون فى الكفر والجهل واعار قوما
الكفر ان شاء تممه لهم وان شاء سلبهم اياه واعلم ان تمام التحقيق فى هذا المقام يفتقر الى بسط فى الكلام
وان بيانه من بحر عظيم من علوم المكاشفة ولعلنا نرجع اليه فى مستانف الكلام عند تحقيق الخير والشر والسعادة و
الشقاوة والتوفيق والخذلان والجبر والقدر فى شرح الاحاديث الواردة فى هذه الابواب وذكرنا ان امورا
قد اشكلت عليك لا تعرف حقايقها لاختلاف الرواية فيها وانك تعلم ان اختلاف الرواية فيها لاختلاف عللها
واسبابها من الاغراض النفسانية والدواعى الدنيا وية لاقوام استولت عليهم محبة الجاه والرياسة و

او استيفاء اللذات والشهوات والتقرب الى الحكام والولاة من اهل الجور فوضعوا الاحاديث وحرفوا الكلم
عن مواضعها كل قوم على وفق مقاصدهم ومآربهم فلاجل هذه العلل والاسباب الدنيوية والامراض القلبية
والاسقام النفسانية اختلفت الروايات وتناقضت الاحاديث وذكرت انك لا تجد بحضرتك من تذاكره وبلدك
من تذاكره وتفاوضه ممن تثق بعلمه فيها اى فى الرواية وتحقيق الامر فيها ورفع الاختلاف عنها وقلت انك تحب ان يكون
عندك كتاب كاف يجمع من جميع فنون علم الدين اصولها وفروعها واعتقادياتها وعملياتها ما يكتفى به المتعلم ويرجع اليه
المسترشد فيكون تبصرة للمبتدى وتذكرة للمنتهى ويأخذ منه من يريد علم الدين والعمل به لكونه مضبوطا موثوقا
به بمقتضاها علم مثبتا بالآثار الصحيحة عن الصادقين عليهم السلم والسنن القائمة التى عليها العمل وبها يؤدى فرض الله
عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وآله يعنى من يحمل بمقتضى هذه الآثار والاحاديث فى الفرائض والنوافل ادى المفروضات والسنن على
وجهها وبرئت ذمته عن الواجبات وترتب له الثواب بفعلها وفعل المندوبات لكون الرواية فيها صحيحة ثابتة عن الحجة
فالائمة والمروى عنهم معصومون عن الخطاء والنسيان مطهرون بتطهير الله عن الغلط والعصيان فيجب العمل بما روى
عنهم والاهتداء بهدايتهم والاستضاءة بنورهم عليهم السلم وقلت لو كان ذلك رجوت ان يكون ذلك اى كون ذلك الكتاب
عندنا سببا يتدارك الله بمعونته وتوفيقه اخواننا المؤمنين واهل ملتنا من الشيعة الفائزة ويقبل بهم الى مراشدهم
اى يوجب اقبالهم اليه الى هيهنا كلام السائل الملتمس بتصنيف كتاب الكافى فاجاب بقوله فاعلم يا اخى ارشدك الله
انه لا يسع احدا تمييز شىء مما اختلفت الرواية فيه عن العلماء عليهم السلم برأيه الا على ما اطلقه العالم عليه السلم بقوله اعرضوها على كتاب الله فما وافق كتاب الله عز وجل فخذوه وما خالف كتاب الله فردوه وقوله
عليه السلم دعوا ما وافق القوم المراد به العلماء الدنيا واتباعهم الراغبون فى الشهوات والحظوظ العاجلة فان الرشد
فى خلافهم من هذا الباب عرض الامور المتشابهة فيه الصواب والخطاء على النفس فما وافق النفس فالرشد
فى خلافه لانها بطبعها مائلة الى الشهوة والبطالة والكسل وهكذا حال الطالبين للدنيا لكونهم فى مقام
النفس ليسوا من اصحاب القلوب والثالث قوله عليه السلم خذوا بالمجمع عليه فان المجمع عليه لا ريب فيه ثم انه لما لم يسع لكل احد
من الناس فهم القرآن وعرض المقاصد عليه وكذا الاطلاع على المجمع عليه لا تراه اتفق اتفق فى قليل من المسائل
واما المخالفة والموافقة مع القوم فهى ايضا مما لا يطرد فى بعض الامور فلاجل ذلك قال ونحن لا نعرف من جميع ذلك الا
اقله اى لا يحصل المعرفة لنا من جميع ذلك المذكور الا فى اقل موضع من المواضع التى وقع اختلاف الرواية فيها ونحن
لا نعرف للاعتماد والتعويل عليه لكل احد من المتعلمين من جميع ما ذكر الا ما هو اقله اتعابا واسهله عليهم ماخذا
وهو المشار اليه بقوله ولا نجد شيئا احوط ولا اوسع من رد علم ذلك كله الى العالم اى الذى علم اصول الدين
وفروعه ببصيرة وبرهان او العالم من اهل البيت عليهم السلم ويؤيد الاول اتساق كلام المصنف رحمه الله وقد يراد منه
آخر والثانى ما فى النسخ من لفظ عليه السلم وقبول ما وسع من الامر فيه بقوله اى قبول كل ما وسع لذلك العالم
من التحقيق والتوفيق فيما اختلف الرواية فيه بمجرد قوله للاعتماد عليها فيما صح اورده من الروايات

والفتاوى

والفتاوى والاحكام تسليما عنه وتسليما له بايهما اخذتم من باب التسليم وسعكم الجملة استينافية مبتدا وخبر
تقديره ايما اخذتم به من الخبرين تسليما وقبولا وسعكم العمل به ويحتمل ان يكون الجملة مفعولا للقول بقوله ليكون
حديثا منقولا عن العالم اذا اريد به المعصوم ذكره للاستدلال به على المطلوب فعلم مما ذكره ان الذى التمس عنه تصنيف الكتاب
درجته درجة الاتباع والمقلدين ولهذا ما رخص اياه الرجوع الى الكتاب والعمل بالاجماع ونحوه بل اوجب عليه
الاخذ من باب التسليم فى جميع ذلك وما وسع له الا الاخذ بقول العالم كيف كان وقد يسر الله وله الحمد تاليف
ما سألت وارجو ان يكون بحيث توخيت اى قصدت فمهما كان من نقص فلم تقصر نيتنا فى اهداء النصيحة اذا كانت
واجبة لاخواننا واهل ملتنا يعنى لو وقع تقصير فى شىء من المقاصد لم يقع من جهة تقصيرنا فى العزم والنية ومن جهة
الاهمال وقلة المبالاة وعدم السعى فى اهداء النصيحة الواجبة لاخواننا الشيعة المؤمنين بل جردنا النية وبذلنا
الوسع فان لم يكن على حد الكمال كان الحكم لله فى ذلك مع ما رجونا ان يكون واما على ما ينبغى يكون مشاركين
لكل من اقتبس منه وعمل بما فيه فى دهرنا هذا وفى غابره الى انقضاء الدنيا اذ الرب عز وجل واحد تعليل لما ادعاه
من استمرار الاقتباس من هذا الكتاب والعمل بما فيه الى آخر الزمان بوحدانية الله ثم وحدة رسوله صلى الله عليه وآله وبقاء دينه
الى قيام الساعة من غير نسخ وانتقال كما قال والرسول محمد خاتم النبيين صلى الله عليه وآله واحد لا نبى بعده ولا امة بعد ملته ولا نسخ
تنسخ شريعته بان يحل حرامه او يحرم حلاله فكما لا يجوز نسخ القرآن لان الذى انشاه وانزله اله واحد لا شريك له باق
لا يزال فكذلك لا تنسخ السنة لان الصادع بها محمد رسول الله صلى الله عليه وآله واحد فشريعته باقية ما دامت السموات والارض الى
قيام الساعة وكذلك بقوله وحلال محمد حلال الى يوم القيمة وحرامه حرام الى يوم القيمة وقد وسعنا اى تيسر لنا قليلا
كتاب الحجة وهو الكتاب الثانى من كتب الكافى فى بيان ان الحجة باقية الى يوم الدين وان لا تخلو الارض ما دامت
الدنيا عن حجة وسائر ما يتوسط بذلك من احوال النبى والائمة عليهم السلم وان لم نكمله كما ينبغى اذ بقى من هذا الباب ما لم
يورده من الاحاديث والاخبار لانا تعليل لا يراد هذا القدر اليسير بقوله كرهنا ان نبخس حظوظه كلها اى ننقصها
ونتركها جميعا فان ما لا يدرك كله لا يترك كله وارجو ان يسهل الله تعالى امضاء ما قدمناه من النية اعنى اتمام كتاب
الكافى ان كان وضع الديباجة قبل الشروع والا فالمراد ما اشار اليه بقوله ان تاخر الاجل صنفنا كتابا اوسع واكمل
منه اى من الكافى او من كتاب الحجة نوفيه حقوقه نصب على الحالية او العلية دائما موفين حقوقه او لنوفيها كلها ان شاء الله تعالى
وبه الحول والقوة واليه الرغبة فى الزيادة فى المعونة والتوفيق والصلوة على سيدنا محمد النبى وآله الطيبين الاخيار
واول ما ابتدئ به وافتتح كتابى هذا يعنى الكافى كتاب العقل وفضائل العلم وارتفاع درجة اهله وعلو
قدرهم ونقص الجهل وخساسة اهله وسقوط منزلتهم اديان لوجه تقديمه على سائر الكتب التى المذكورة فى الكافى
بانه كان العقل فى الانسان هو القطب الذى عليه المدار فى الحركات الفكرية والانظار العقولية وهو
اصل القوى المدركة والمحركة وهو المركز الذى يرجع اليه المدارك والحواس والنور الذى به يهتدى فى ظلمات بر
الدنيا وبحر الآخرة وبه يحتج على تصويب المصيب وتخطئة المخطى وتحقيق الحق وابطال الباطل وله الثواب وعليه العقاب

يوم الحساب والمآب في دار الجنة ودار العذاب والله الموفق وهذا الكتاب مشتمل على سبعة عشر بابا الباب الاول
باب العقل والجهل وفيه اربعة وثلثون حديثا الحديث الاول حدثني شيخي واستادي ومن عليه
في العلوم النقلية استنادي عالم عصره وشيخ دهره بهاء الحق والدين محمد العاملي نور الله قلبه بالانوار
القدسية عن والده الماجد المكرم وشيخه المبجل المعظم الشيخ الفاضل الكامل حسين بن عبد الصمد افاض الله عليه
الرحمة والرضوان واسكنه دار الجنان عن شيخه الجليل واستاده النبيل عماد الاسلام وفخر المسلمين الشيخ زين
الملة والدين العاملي طاب ثراه وجعل الجنة مثواه عن الشيخ المعظم المفخم والمطاع المؤيد المكرم عالي النسب سامي
اللقب المجدد للمذهب علي بن عبد العالي الكركي قدس الله روحه عن الشيخ الورع الجليل علي بن هلال
الجزايري عن الشيخ العالم الفايد احمد بن فهد الحلي عن الشيخ علي بن الخازن الحايري عن الشيخ الفاضل
والنحرير الكامل السعيد الشهيد محمد بن مكي اعلى الله رتبته ح وعن الشيخ زين الملة والدين عن الشيخ
التقي علي بن عبد العالي الميسي روح الله روحه بالفيض القدسي عن الشيخ السعيد محمد بن داود المؤذن الجزيني
عن الشيخ الكامل ضياء الدين علي عن والده الافضل الاكمل المحقق المدقق الجامع بين الفضيلتين الحاوي
للمنقبتين رئيس العلماء ودرجة الشهداء الشيخ شمس الدين محمد بن مكي رفع الله قدره واكمل في سماء
الرضوان بدره ح واخبرني سيدي وسندي واستادي واستنادي في المعالم الدينية والعلوم الالهية
والمعارف الحقيقية والاصول اليقينية السيد الاجل الانور العالم المقدس الاطهر الحكيم الالهي والفقيه الرباني سيد
عصره وصفوة دهره الامير الكبير والبدر المنير علامة الزمان اعجوبة الدوران المسمى محمد الملقب بباقر الداماد الحسيني
قدس الله عقله بالنور الرباني عن استاده وخاله المكرم المعظم الشيخ عبد العالي رحمه الله عن والده الشامي المطاع
المشهور اسمه في الآفاق والاصقاع الشيخ علي بن عبد العالي سندا بالسند المذكور وعنه الى الشيخ الشهيد محمد بن
مكي قدس الله عن جماعة من مشايخهم الشيخ عميد الدين عبد المطلب الحسيني والشيخ الاجل الافضل فخر المحققين
ابو طالب محمد الحلي والمولى العلامة مولانا قطب الدين الرازي عن الشيخ الاجل العلامة آية الله في ارضه جمال الملة
والدين ابي منصور الحسن بن مطهر الحلي قدس الله روحه عن شيخه المحقق رئيس الفقهاء والاصوليين نجم الملة والدين
ابي القاسم جعفر بن الحسن بن يحيى بن السعيد الحلي عن السيد الجليل النسابة فخار بن معد الموسوي عن شاذان بن
جبرئيل القمي عن محمد بن ابي القاسم الطبري عن الشيخ الفقيه ابي علي الحسن عن والده الاجل الاكمل شيخ الطايفة
محمد بن الحسن الطوسي نور الله مرقده ح وعن العلامة جمال الملة والدين عن استاده افضل المحققين سلطان
الحكماء والمتكلمين خواجه نصير الملة والحكمة والحقيقة والدين محمد الطوسي روح الله روحه بالنور القدسي عن والده محمد بن
الحسن الطوسي عن سيد المحققين بن الداعي الحسيني عن الشيخ الطوسي عن الشيخ الاعظم الاكمل المفيد محمد بن
محمد بن النعمان الحارثي سقى الله ثراه عن الشيخ الاجل ثقة الاسلام وقدوة الانام محمد بن علي بن بابويه القمي اعلى الله
مقامه عن ابي القاسم جعفر بن قولويه عن الشيخ الجليل ثقة الاسلام سند المحدثين ابي جعفر محمد بن يعقوب

الكليني قال الشيخ عظم الله قدره ونور مرقده حدثني عدة من اصحابنا محمد بن يحيى منهم العطار ابو جعفر العطار
القمي في الخلاصة وغيرها شيخ اصحابنا في زمانه ثقة عين كثير الحديث عن احمد بن محمد بن عيسى بن عبد الله بن سعد بن
مالك الاحوص بالحاء والصاد المهملتين يكنى ابا جعفر القمي شيخ قم ووجهها وفقيهها ولقي ابا الحسن الرضا وابا جعفر الثاني
وابا الحسن العسكري ع وكان ثقة وله كتب عن الحسن بن محبوب السراد ويقال له الزراد يكنى ابا علي كوفي ثقة عين
روى عن الرضا ع وكان جليل القدر يعد في الاركان الاربعة في عصره قال الكشي اجمع اصحابنا على تصحيح ما يصح عن هؤلاء
وتصديقهم واقروا لهم بالفقه والعلم وذكر الحسن بن محبوب من الجماعة وقال بعضهم موضعه الحسن بن علي بن فضال
عن العلاء بن رزين يتقدم الراء على الزاء وكان ثقة جليل القدر عن محمد بن مسلم بن رباح ابو جعفر وجه اصحابنا بالكوفة
فقيه ورع صاحب ابا جعفر وابا عبد الله عليهما السلام وروى عنهما وكان من اوثق الناس روى الكشي مسندا عن
العلاء بن رزين عن عبد الله بن ابي يعفور قال قلت لابي عبد الله ع ليس كل ساعة القاك ولا يمكن القدوم ويجيء
الرجل من اصحابنا فيسالني ليس عندي كلما سالني عنه قال فما يمنعك عن محمد بن مسلم فانه قد سمع من ابي وكان
عنده وجيها وعن ابي جعفر بن قولويه مسندا الى علي بن اسباط عن ابيه اسباط بن سالم عن ابي الحسن موسى بن
جعفر عليهما السلام ان محمد بن مسلم من حواري ابي جعفر محمد بن محمد علي وابنه جعفر بن محمد الصادق عليهما
السلام قال الكشي انه ممن اجمعت العصابة على تصديقه والانقياد له بالفقه عن ابي جعفر ع قال لما خلق الله
العقل استنطقه ثم قال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر ثم قال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا هو
احب الي منك ولا اكملتك الا فيمن احب اما اني اياك آمر واياك انهى واياك اعاقب واياك اثيب
اعلموا ايها الاخوان السالكون الى الله بقدم العرفان ان هذا العقل اول المخلوقات واقرب المجعولات الى الحق الاول
واعظمها واتمها وثاني الموجودات في الموجودية وان كان الاول تع لا ثاني له في حقيقته لان وحدته ليست عددية من
جنس الوحدات وهو المراد فيما ورد في الاحاديث عنه صلى الله عليه وآله من قوله في رواية اول ما خلق الله العقل
وفي رواية اول ما خلق الله نوري وفي رواية اول ما خلق الله روحي وفي رواية اول ما خلق الله القلم
وفي رواية اول ما خلق الله نوري ملك كروبي وهذه كلها اوصاف ونعوت لشيء واحد باعتبارات مختلفة
فبحسب كل صفة يسمى باسم آخر وقد كثرت الاسماء والمسمى واحد انا وجودا اما المهية والذات فهي جوهر لا تعلق
له بالاجسام بوجه لا وجودا كالاعراض ولا فعلا وتصرفا كالنفوس ولا بالجزئية والامتزاج كالمادة والصورة
وبالجملة فالمجعولات الجوهرية على ثلثة اقسام متفاوتة في درجات الوجود اعلاها واولها هو الذي لا افتقار له
في شيء الا الى الله ولا نظر له الى ما سواه ولا التفات له الا اليه تع وثانيها هو الذي لا افتقار له في اصل الوجود
الى غيره تع ولكن يفتقر في استكمال وجوده الى ما سواه ويكون كمال وجوده بعد اصل وجوده ووجه قبله وثالثها
هو الذي يفتقر الى غيره تعالى في كلا الامرين اعني في اصل الوجود وكماله جميعا فالاول هو العقل والثاني النفس والثالث هو
الجسم او جزؤه واما الوجود الحقيقة فالبرهان عليه وجود الحق تع لانه لما كان بسيط الحقيقة عالما قادرا

جواد احيا دا افضله عظيمة وقوة شديدة وقدرة غير متناهية وفيه جميع الفضايل والخيرات والكمالات لم يجز في كرمه ورحمته وجوده ان يمسك عن الفيض والرحمة ويضن بالخير والجود والجود على العالمين فلا بد من ان يفيض على المخلوقات على النظام الافضل والترتيب الاجود وان يبدأ بالاشرف فالاشرف كما تدل قاعدة امكان الاشرف ولا شك ان اشرف الممكنات واكرم المجعولات هو العقل كما علمت فهو اول الصوادر واقربها من الحق واحبها اليه ولهذا قال ما خلقت خلقا هو احب الى منك وسنعيد القول الى تحقيق محبة الله لخلقه وهذا الموجود حقيقة الروح الاعظم بعينها المشار اليه بقوله تعالى قل الروح من امر ربي وقوله الا له الخلق والامر وانما سمي بالقلم لانه واسطة الحق في نقوش العلوم والحقايق على الالواح النفسانية القضائية والقدرية فان قلم الله ليس قصبا ولا حديدا ولا جسما آخر وكذا اللوح ليس خشبا ولا قرطاسا ولما سماه قلما قال اجر ما هو كان الى يوم القيمة ولكونه وجودا خالصا عن ظلمة التجسم والتحجب عن ظلمات النقايص والاعدام يسمى نورا اذ النور هو الوجود والظلمة هي العدم وهو ظاهر لذاته مظهر لغيره ولكونه اصل حيوة النفوس العلوية والسفلية يسمى روحا وهو الحقيقة المحمدية عند اعاظم الصوفية ومحققيهم لكونه كمال وجوده صلى الله عليه واله الذي منه يبدئ واليه يعود كما سيظهر من بعض الاحاديث المروية عن الائمة عليهم السلم ولهذا تحقيق برهاني يطول الكلام بذكره وسنعود اليه في شرح تلك الاحاديث ومن امعن النظر في هذا المقام وجد كل ما وصف به العقل الاول وحكي عنه كان من خواص روحه صلى الله عليه وآله فقوله ع استنطقه اي جعله ذا نطق وكلام يليق بذلك المقام وقوله ثم قال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر هذا حال روحه ص اذ قال الله له اقبل الى الدنيا واهبط الى الارض رحمة للعالمين فقبل فكان نوره مع كل شيء باطنا ومع شخصه المبعوث ظاهرا كما روي عنه نحن الاخرون السابقون يعني الآخرون بالخروج والظهور كالثمرة والاولون بالخلق والوجود كالبذر فهو بذر شجرة العالم ثم قال له ادبر اي ارجع الى ربك فادبر عن الدنيا ورجع الى ربه ليلة المعراج وعند المفارقة عن دار الدنيا ثم قال عز وجل ما خلقت خلقا هو احب الي منك وهذا حاله ع لانه كان حبيب الله واحب الخلق اليه والوجه العقلي في ذلك ان المحبة تابعة لادراك الوجود لانه خير محض فكلما وجوده اتم كانت خيريته اعظم والادراك به اقوى والابتهاج به اشد فاجل مبتهج بذاته هو الحق الاول لانه اشد ادراكا لاعظم مدرك له الشرف الاكمل والنور الانور والجلال الارفع الارفع وهو الخير المحض وبعده في الخيرية والوجود والادراك والابتهاج الجواهر العقلية والارواح النورية والملائكة القدسية المبتهجون به تعالى وبذواتهم من حيث هم مبتهجون به وهم العشاق الالهيون وبعد مرتبتهم مرتبة النفوس المشتاقين اليه تعالى بقدر نيلهم عنه وادراكهم له وهم الملائكة السماوية وبعد هؤلاء في الشوق اليه تعالى النفوس البشرية وهم اصحاب المعارج الروحانية فحالهم بالآخرة كحال الملائكة المقربين في العشق والابتهاج به تعالى اذا عرفت هذا فمحبة الله لعباده راجعة الى محبته لذاته لانه لما ثبت ان ذاته احب الاشياء اليه تعالى اذا عرفت هذا فمحبة الله وهو اشد مبتهج به وكل من احب شيئا احب جميع

افعاله وحركاته وآثاره لاجل ذلك المحبوب وكل ما هو اقرب اليه فهو احب وجميع الممكنات على ابتهاجها الى الحق واضافته فالله يحبها لاجل ذاته واقرب المجعولات اليه الروح المحمدي ص المسمى بالعقل فهيهنا تحقق انه احب المخلوقات اليه ومن المتكلمين من انكر محبة الله لعباده كالزمخشري وانما عرض ما منهم ان ذلك يوجب نقصا في ذاته ولم يعلموا ان محبته تعالى لخلقه راجعة الى محبته ذاته وقوله في رواية اخرى بك اعرف وبك آخذ وبك اعطي وبك اعاقب وبك اثيب فهذا كله حال النبي صلى الله لانه لم يعرف النبي صلى الله بالنبوة والرسالة لم يعرف الله كما ينبغي ولو كان له الف دليل على معرفة الله فمعناه بمعرفتك اعرف اي من عرفك بالنبوة عرفني بالربوبية وبك آخذ اي آخذ طاعة من آخذ منك ما انبأت من الدين والشريعة وبك اعطي اي بشفاعتك اعطي الدرجات لاهل الدرجات كما قال للناس لا يحتاجون الى شفاعتي حتى ابرهيم ع وبك اعاقب وبك اثيب وذلك قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال ءاقررتم واخذتم على ذلكم اصري قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين وذلك لان الله تعالى اخذ ميثاق كل نبي بعثه على قومه بان يؤمن بمحمد واله عليهم السلم ويوصي امته بالايمان به ونصرة دينه فمن آمن به من الامم الماضية قبل بعثته والامم الغابرة فهو من اهل الثواب ومن لم يؤمن به من الاولين والآخرين فهو من اهل العقاب فصح قوله بك اعاقب وبك اثيب واما قوله في هذه الرواية اما اني اياك آمر واياك انهى واياك اعاقب واياك اثيب فيحتمل ان يكون لفظة اياك بمعنى بك ولاجلك على سبيل التوسع وان حملنا اللفظ على الحقيقة فهو ايضا حق صحيح لان حقيقة العقل ملاك التكليف والامر والنهي والثواب والعقاب الا ان هذه الحقيقة ذات مقامات ودرجات اذ وحدة العقل ليست وحدة عددية فكونه احق الاشياء اليه تعالى باعتبار غاية الدنو من الاول تعالى وكونه معاقبا معذبا باعتبار غاية بعده منه تعالى وكونه مكلفا مأمورا ومنهيا باعتبار وقوعه في دار التكاليف وكونه مثابا باعتبار كونه في الآخرة في بعض درجات الجنان الحديث الثاني علي بن محمد بن ابرهيم بن ابان بن الرازي الكليني المعروف بعلان ابو الحسن ثقة عين عن سهل بن زياد الادمي ابو سعيد الرازي ضعيف في الحديث غير معتمد عليه عن عمرو بن عثمان الثقفي الخزاز وقيل الازدي ابو علي كوفي ثقة وكان نقي الحديث صحيح الحكايات صه قال النجاشي له كتب روى عنه علي بن الحسن بن فضال واحمد بن محمد بن خالد عن مفضل بن الصالح ابو جميلة الاسدي النخاس مولاهم ضعيف كذاب يضع الحديث عن سعد بن طريف من اصحاب الباقر ع مولى بني تميم الكوفي ويقال سعد الخفاف صحيح الحديث روى عن الاصبغ بن نباتة قال العلامة في صه قال ابن الغضايري انه ضعيف عن الاصبغ بن النباتة بالعين المعجمة بعد الباء الموحدة تحتها ونباتة بضم النون وبعد الالف تاء مفتوحة مثناة فوقها شكور من خاصة امير المؤمنين علي عليه السلم عن علي عليه السلم قال هبط جبرئيل ع على آدم ع فقال يا آدم اني امرت ان اخيرك واحدة من ثلث فاخترها ودع اثنتين فقال له آدم ع يا جبرئيل وما الثلث فقال العقل والحياء والدين فقال آدم اني

قد اخترت العقل فقال جبرئيل للحياء والدين انصرفا ودعاه فقالا يا جبرئيل انا امرنا ان نكون مع العقل حيث كان قال فشانكما وعرج البيان هذا الحديث وان كان ضعيف السند لوقوع الضعفاء مثل سهل بن زياد ومفضل بن صالح وغيرهما في طريقه الا ان ذلك لا يقدح في صحته لانه معتضد بالبرهان العقلي وكذلك بكثير من الاحاديث الواردة في اصول المعارف ومسائل التوحيد وغيرها وقوله هبط جبرئيل سيجئ الى معناه فيما بعد ان شاء الله وتانيث واحدة وكذا ثلث واثنين باعتبار الخصلة او نحوها وقوله انصرفا ودعاه اي انصرفا عن آدم ودعاه او انصرفا ودعا العقل لآدم وقوله انا امرنا هذا الامر امر تكويني لا امر تشريعي كما في قوله تعالى اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وقوله فكونوا قردة خاسئين وفي هذا الامر لكونه وجوديا بلا واسطة لا يمكن التقصي والتمرد بخلاف الامر بالواسطة فيجوز فيه الامران فمنهم من اطاع ومنهم من عصى واعلم يا اخي ان للانسان قوة بها يدرك الحقائق وهي المسماة بالعقل وقوة بها ينفعل عن ما يرد على القلب وهي المسماة بالحياء وقوة بها يقتدر على فعل الطاعات وترك المنكرات وتسمى بالدين وهذه الالفاظ الثلثة كما قد يطلق على هذه المبادي اعني القوى والاخلاق كذلك يطلق على آثارها والافعال الناشئة منها فيقال ان العقل ادراك المعقولات والحياء انفعال القلب عما يرد عليه والدين فعل المعروفات وترك المنكرات والحياء على قسمين حياء ناش من ضعف القلب وقلة الاحتمال لعجزه وهو ليس بممدوح وحياء ناش من استشعار العظمة والهيبة فالاول حياء من الخلق والثانية حياء من الحق وهي من محاسن الاخلاق ومكارم الخصال ولهذا ورد الحياء من الايمان وقال بعض العرفاء الحياء وجود الهيبة في القلب مع خشية ما سبق الى ربك منك وقال بعضهم ان العباد عملوا على اربع درجات الخوف والرجا والتعظيم والحياء واشرفهم منزلة من عمل على الحياء ولما ايقن ان الله يراه على كل حال فاستحيى من حسناته اكثر مما استحيى العاصون من سيئاتهم وهذه الخصال الثلث لكل منها ضد فضد العقل هو الجهل بالمعنى الوجودي اعني ادراك الشئ خلاف ما هو عليه وهو من اسوء الاخلاق الشر وافسدها اذ الكفر منبعثة منه وضد الحياء الوقاحة وضد الدين الفسق اذا تقررت هذه المقدمات فنقول في هذا الحديث مطالب ثلثة احدها وجه الاقتصار على هذه الخصال الثلث والثاني في كون العقل هو المختار منها والثالث علة استلزامه للاخيرين اما الاول فان للانسان قوتين فعليته وانفعاليته والاولى اذا كانت فاضلة يصدر منها فعل الطاعات والعبادات وتسمى بالدين تسمية للسبب باسم مسببه والثانية اما انفعالها بالصور الادراكية فهي العقل اذا كانت فاضلة واما الثاني فلا شبهة في ان العقل اشرف الخصال واكرمها اذ به يعرف الحق ويتميز عن الباطل ويكمل الايمان ويتقرب اليه تعالى وهو الذي يحب الله ويحبه الله واما الثالث فلانه اذا حصل العقل يستشعر القلب عظمة الله وجلاله فلزم منه الحياء واذا حصل العلم بالله واليوم الآخر وقعت خشية الله في القلب لقوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء واذا حصلت الخشية اتاه والخوف من عذابه كمل الدين وتم العمل الحديث الثالث

او انفعالها من الامور الحسية فهي الحياء اذا كانت فاضلة

احمد

احمد بن ادريس وهو ابو علي الاشعري القمي كان ثقة في اصحابنا فقيها كثير الحديث صحيح الرواية اعتمد على روايته عن محمد بن عبد الجبار وهو ابن الصهبان بالصاد المهملة المضمومة والباء المنقطة تحتها نقطة والنون اخيرا ثقة من اصحاب ابي الحسن الثالث الهادي عليه السلام ثقة عن بعض اصحابنا رفعه الى ابي عبد الله عليه السلام قال قلت له ما العقل قال ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان قال قلت فالذي كان في معوية فقال تلك النكراء تلك الشيطنة وهي شبيهة بالعقل وليست بالعقل البيان ان الناس اختلفوا في حد العقل اختلافا كثيرا واضطربوا في تحقيق معناه لما راوا تارة يطلق اسمه على اول ما خلق الله كما سيجئ في رواية سماعة بن مهران عن ابي عبد الله عليه السلام ان الله خلق العقل وهو اول خلق من الروحانيين عن يمين العرش من نوره وتارة يطلق على ما هو خصلة من خصال الانسان وملكة من ملكات نفسه كما في الحديث السابق وتارة يطلق على الغريزة الانسانية التي بها يفارق الانسان ساير الحيوانات وتارة يطلق على جودة الروية في استنباط ما ينتفع به وان كان في باب الدنيا وفي الامر العاجل فيقال لمثل معوية انه عاقل وتارة يطلق على غير هذه المعاني ايضا والحق الكاشف للغطاء ان اسم العقل يقع على معان بعضها بالاشتراك وبعضها بالتشكيك اما التي بالاشتراك فهي ستة معان الاول الغريزة التي بها يمتاز الانسان عن البهائم ويستعد لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الفكرية ويستوي فيها الاحمق والذكي ويوجد في النائم والمغمى عليه والغافل وكما ان الحيوة غريزة في الحيوان يفعل بها ويتهيأ جسمه للحركات الاختيارية والادراكات الحسية فكذلك هذا العقل غريزة تهيأ بها الانسان لاكتساب العلوم النظرية فليس لاحد ان يقول ان الانسان يساوي الحمار في الغريزة ولا فرق بينهما الا ان الله يخلق بحكم اجراء العادة فيه علوما وليس يخلقها في الحمار والبهائم اذ لو جاز ذلك لجاز ان يسوى بين الحمار والجماد في الغريزة والحيوة من غير فرق الا ان الله يخلق في الحمار حركات مخصوصة بحكم اجراء العادة وكما امتنع ان يكون مفارقة الحيوان عن الجماد بحركات مخصوصة جرت العادة بصدورها عنه لا عن الجماد بل كانما هي بغريزة خاصة به ليست في الجماد فكذلك استحال ان يكون حصول العلوم النظرية والتدابير الفكرية من الانسان بمجرد اجراء العادة من الله في خلقها فيه لا لاجل غريزة فطرة الله عليها بها يكون مفارقا عن البهائم وبها يقع عنه تلك العلوم والتدابير وكما ان المرآة يمتاز عن ساير الاجسام بصفة مخصوصة كالصقالة بها يحصل فيها حكاية الصور والالوان وتسبة العين الى الصور المرئيات والعقل وكذلك العين تفارق ساير الاعضاء بصفة غريزية بها استعدت للروية فنسبة هذه الغريزة في استعدادها لاكتساب العلوم كنسبة المرآة الى صور الالوان ونسبة العين الى الصور المرئيات والعقل بهذا المعنى يستعمله الحكماء في كتاب البرهان ويعنون به قوة النفس التي بها يحصل اليقين بالمقدمات الصادقة الضرورية لا عن قياس وفكر بل بالفطرة والطبع من حيث لا يشعر من اين حصلت وكيف حصلت فانه هو جزء ما من النفس يحصل بها اوائل العلوم الثاني العقل الذي يردده الجمهور من المتكلمين في السنتهم فيقولون هذا ما يوجبه العقل وهذا ما ينفيه العقل وانما يعنون به المشهور في بادي الراي المشترك عند

الجميع او الاكثر فهذا مما يسمونه العقل كما يظهر من استقراء استعمالاتهم هذا اللفظ فيما يخاطبون به او يكتبون
في كتبهم العلمية من هذا الباب العلوم الضرورية كالعلم بان الاثنين ضعف الواحد وان الاشياء المساوية لشيء
واحد متساوية وان الجسم الواحد لا يحصل في حيزين وان الحيز الواحد لا يحصل فيه جسمان الثالث
العقل الذي يذكر في كتاب الاخلاق ويراد به جزء من النفس الذي يحصل بالمواظبة على اعتقاد شيء شيء
وعلى طول تجربة شيء شيء من الامور الارادية التي لنا ان نؤثرها او نتجنب عنها فان ذلك الجزء من النفس
هي مبادي الراي فيما سبيله ان يستنبط من الامور الارادية التي شانها ان تؤثر او تجتنب ونسبة هذه القضايا
الى ما تستنبط بها من تلك كنسبة تلك القضايا الضرورية الى ما هي مبادي لها من العلوم النظرية التي غايتها ان
تعلم لا ان نفعل بها شيء وهذا العقل مما يزيد ويشتد مع الانسان طول عمره وان من حنكته التجارب
المذاهب يقال في العرف انه عاقل ويتفاوت ويتفاضل فيه الناس تفاضلا كثيرا الرابع الشيء الذي به
يقول الجمهور في الانسان انه عاقل ومرجعه الى جودة الروية وسرعة التفطن في استنباط ما ينبغي ان يؤثر
او يجتنب وان كان في باب الاغراض الدنياوية وهوى النفس الامارة بالسوء فان الناس يسمون من له
هذه الروية المذكورة عاقلا ويعدون معاوية من جملة العقلاء واما اهل الحق فلا يسمون هذه الحالة عقلا
بل باسماء اخر كالنكراء او الشيطنة او الدهاء او شبه هذه الاسماء والوجه في ذلك ان النفس الانسانية متى
كانت نشاتها غير مرتفعة عن عالم الحركات وكان الغالب على طبعه الجزء الناري التي شانها سرعة الحركة وقوة
الاشتعال فمثل هذه النفس لنارية شديدة التشبه بالشيطان في استنباط الحيل والمكر والاستبداد
بالراي والعمل بالقياس الفاسد والاباء والاستعلاء والغواية والاغواء بخلاف النفوس النورية الطبيعة
بالطبع المعتدلة الخلقة العالية الجوهر عن هذا العالم فان شانها الانفعال عن الملكوت الاعلى والتوكل على الله في امر
دنياها واستعمال الروية والفكر على سبيل القصد فلا يكون مكارا ولا بليدا فخير الامور اوسطها فهذا معنى العقل
المستعمل في هذا الموضع ومرجعه الى التعقل للامور والقضايا المستعملة في كتب الاخلاق وكنسبة تلك العلوم الضرورية
التي هي مبادي للاراء والعلوم التي لنا ان نعقلها لنفعلها او نجتنب منها ونسبة هذه القضايا الى العقل في كتب
الاخلاق كنسبة تلك العلوم الضرورية الى العقل المستعمل في كتاب البرهان فذانك العقلان جزءان للنفس
الانسانية احدهما انفعالي علمي ينفعل عن المبادي العالية بالعلوم والمعارف التي غايتها انفسها وهي الايمان
بالله واليوم الاخر وثانيهما جزء عملي ينفعل فيما تحته بسبب الاراء والعلوم التي غايتها انفسها ان يعمل
بمقتضاها من فعل الطاعات والاجتناب عن المعاصي والتخلق بالاخلاق الحسنة والتخلص عن الاخلاق الذميمة
وهو الدين والشريعة فاذا حصلت الغايتان حصل التقرب الى الله والتجرد عما سواه الخامس العقل الذي
يذكر في كتاب النفس وهو يطلق على اعتبارات نحاء ومراتب عقل بالقوة وعقل بالملكة وعقل بالفعل
وعقل مستفاد فاولها هو قوة من قوى النفس بل هي النفس من حيث نشاتها الاولى التي ليس فيها كمال كانية

وصورة عقلية ولا ايضا استعداد قريب لها لكن في قوتها ان ينتزع ماهيات الموجودات كلها وصورها و
ثانيها قوة من النفس او هي النفس من حيث استعدت بواسطة العلوم العامية والادراكات الاولية لان يحصل
فيها صور للموجودات المنتزعة عن موادها الخارجية صائرة اياها متحدة بها اتحاد المادة بالصورة كما راينا في
واليه ذهب بعض اعاظم الحكماء وثالثها مرتبة كونها بالفعل كل المعقولات واكثرها بان يبدل وجودها الكوني
الاول الذي كانت به صورة لمادة جسمية الى وجود ثانوي وفطرة ثانية مستانفة بها يتحد ذاته المعقولات المنتزعة
التي كانت اولا في موادها الكونية فحصلت ثانيا في تلك الذات وتلك الذات مستانفة انما صارت عقلا
بالفعل بالتي هي بالفعل معقولات ومعنى كونها معقولة في نفسها وموجودة في انفسها وكذا معنى كونها معقولة لتلك
الذات موجودة لها وتلك الذات عاقلة لها كلها معنى واحد وجوده واحد فاذن كونها عقلا وعاقلة ومعقولة
شيء واحد بلا اختلاف حيثية توجب كثرة في الذات والوجود بل في المفهومات ومعاني الالفاظ وتلك
المعقولات من قبل ان تنتزع من موادها كان وجودها وجودا دنياويا وكونا ماديا وهي كانت تابعة في وجودها
لما يقترن بها فمرة اين ومرة متى ومرة ذات وضع ومرة ذات كم واحيانا مكيفة بكيفيات جسمانية واحيانا
تفعل واحيانا تنفعل واذا حصلت معقولات ارتفعت عنها كثير من المفهومات الصادقة عليها من قبل فصار
وجودها وجودا اخر فتبدلت الارض غير الارض والسماء غير السماء فصارت الارض مشرقة والسماوات
مطويات في نظر هذا العارف كما في يوم الاخرة بالقياس الى جميع الخلائق ورابعها مرتبة من هذه الذات
متى شاء ان يعقل هذه المعقولات مفصلة لا يحتاج الى نزع وتجريد وتجشم كسب جديد كيف وقد انتزعها
سابقا وجردت واختزنت بل كما حصلت له ملكة الاتصال بالعقل الفعال فمتى نظرت الى العقل الفعال
استحضرتها لانها ما دامت باقية التعلق والتدبير لهذا العالم لم يكن دائمة الاستغراق لشهود الحق الاول
والاتصال به وربما يتلوه من وهب الصور باذنه وفعال المعقولات بقوته التي تمسك الارض والسماوات
وانما الذي لها في هذا العالم ملكة الاتصال على وجه السادس العقل المذكور في كتاب الالهيات
ومعرفة الربوبيات وهو الموجود الذي لا تعلق له بشيء الا بمبدعه وهو الله القيوم فلا تعلق له بموضوع
كالعرض ولا بمادة كالصورة ولا ببدن كالنفس وليس له كمال بالقوة ولا فيه جهة من جهات العدم والامكان
والقصور الا ما صار متجبرا بوجوب وجود الحق تعالى ولهذا يقال بعالمه عالم الجبروت وكله نور وخير لا يشوبه
شوب ظلمة وشر الا ما احتجب بسطوة الضوء الاحدي والشعاع الطامس القيومي وهو امر الله وكلمته وهو
المنعوت بما جرى في الحديث الاول وما سياتي في حديث اخر يذكر فيه جنوده وجنود الجهل فهذه معاني
العقل المشتركة في الاسم واما معاني المختلفة بالتشكيك فمنها العقول الاربعة المذكورة في كتاب النفس
فانها ذوات متفاوتة بالشدة والضعف والكمال والنقص ومنها مراتب العقل العملي المذكور في كتب الاخلاق
اولها تهذيب الظاهر باتيان العبادات والاجتناب عن المنهيات وثانيها تطهير الباطن عن الرذائل

حتى تصير النفس كمرآة مجلوة من شأنها ان يتجلى فيها الحقائق في كسوة الامثال وبالنهاية ان تشاهد المعلومات كلها او جلها
ورابعها ان تنوّر عن نفسه ويرى الاشياء كلها صادرة من الحق راجعة اليه وهناك التخلق باخلاق الله كما ورد الامر في
قوله ص تخلقوا باخلاق الله وهذا آخر الدرجات لكلا العقلين فيتحدان في هذه الغاية وليس وراء عبادان
قرية ومنها ان العقل بالمعنى السادس عند طائفة من الحكماء كثير العدد فتلك الكثرة لو تحققت كما يقولون فليست
كثرة تحت نوع واحد ولا ايضا كثرة بالفصول كما هو عندهم ولا بالعوارض الخارجية حاشا العالم القدسي عنها لانها
تستلزم الحركة والمادة بل كثرة بما هي مراتب وجودية ببساطتها صفاوته بالاشد فالاشد والانور فالانور فهي كانوار
واسعة صفا وترقى الكمال والقرب الى نور الانوار ومنها ان الفرق بين الصور العقلية المنتزعة عن المواد بتجريد
ونزع وبين الصور العقلية التي هي مفارقة عن المواد في اصل الفطرة انها بالكمال والنقص لا بشيء اخر ومنها ان
العقل الذي هو عبارة عن الغريزة الانسانية التي بها يمتاز الانسان عن البهائم ليس امرا متساويا في افراد
الناس كلها بل الحق ان جواهر النفوس الانسانية في اصل الفطرة مختلفة في الاشراق والكدورة والقوة والضعف
فبعض النفوس في صفاء الجوهر وقوة الذكاء واستعداد الاستيضاء بحيث يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار فلا
يحتاج الى معلم بشري لان يستكمل ذاته بانوار المعرفة والهدى وبعضها في كدورة الجوهر وخمود نور القريحة بحيث
لا ينجع فيه تعليم ولا تأديب فاذا انكشف عليك ايها السالك هذه المقدمات والاحكام وتمثلت
في ذهنك هذه المعاني والاقسام علمت ان العقل باي المعاني يقع الاشتباه بينه وبين النكراء والشيطنة
ومنشأ الاشتباه ان كليهما مشترك في انهما جودة الروية وسرعة التعقل في امور قضايا هي مبادي آراء واعتقادات
فيما يجب ان يؤثر او يتجنب سواء كانت في باب الخير والآجل او في باب الشر والعاجل لكن المتعلق
بالدنيا من التعقلات والحركات الفكرية لا يخلو عن افراط وتفريط واعوجاج وتشويش واضطراب وعجلة كما
هو من فعل الشياطين وعبدة الطاغوت واما الصادر من عباد الرحمن المتعلق بامور الدين والعرفان
فيكون على سبيل اطمينان وسكون واحكام واستقامة فهذا افضل الاخلاق الحسنة وذلك اردأ
الملكات الردية النفسانية المسماة بالجربزة والبلاهة احسن منها كما قيل ادنى الى الخلاص من فطانة
بتراء فقوله عليه السلام ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان هو تعريف العقل بهذا المعنى وهو المقابل للشيطنة
بوجه وللبلاهة بوجه آخر وقول السائل فالذي في معوية اما مبتدأ محذوف خبره او خبر مبتدأ محذوف
تقديره فالذي في معوية ما هو او بالذي في معوية **تنبيه** اعلم ان جميع معاني لفظ العقل على تباينها
وتشكيكها يجمعها امر واحد يشترك الكل فيه وهو كونه غير جسم ولا صفة لجسم ولا جسماني بما هو جسماني
ولاجل اشتراكها في هذا المفهوم يصح ان يجعل موضوعا لعلم واحد وان يوضع له كتاب واحد يبحث
عن احوال اقسامه وعوارضها الذاتية كما في هذا الكتاب الذي نحن فيه من كتب الكافي **الحديث
الرابع محمد بن يحيى عن احمد بن محمد بن عيسى عن ابن فضال** وهو الحسن بن علي بن فضال ويكنى

محمد

ابا محمد روى عن الرضا ع وكان خصيصا به وكان جليل القدر عظيم المنزلة زاهدا ورعا ثقة في رواياته
كذا في الخلاصة وقال ابو عمرو الكشي كان الحسن بن علي فطحيا يقول بامامة عبد الله بن جعفر فرجع والكشي
ثبت من حاله انه كان في جميع عمره فطحيا مشهورا بذلك حتى حضره الموت فمات راجعا الى الحق قاله ابن رضي الله
عنه **عن الحسن بن الجهم** بن بكير بن اعين ابو محمد الشيباني ثقة روى عن ابي الحسن موسى والرضا عليهما السلم
قال سمعت الرضا ع يقول صديق كل امرء عقله وعدوه جهله البيان هذا العقل يراد به المعنى الثالث
او الرابع من معاني العقل وهما متقاربان اذ ليس المراد به الغريزة الانسانية المشتركة ولا العلوم الضرورية التي
هي مبادي النظريات ولا الآراء المشهورة ولا العقل الكلي اول المخلوقات وانما صار العقل صديق المرء والجهل عدوه
لان بالعقل يكتسب الانسان الاصدقاء ويهتدي الى الخيرات وبه يدفع الاعداء ويجتنب عن الشرور وما
وباشارته يفعل الطاعات والحسنات ويترك المعاصي والسيئات ويسلك سبيل الرضوان ويعبد الرحمن
وبالجهل بعكس هذه الامور كلها ويقع لاضدادها فيكتسب به الاعداء وينفر الاولياء وينكب عن طريق
الخير الى طريق الشر ويفعل المعاصي ويعصي الاله ولا معنى للصديق الا ما كان مبدأ لتلك الامور بعينه للعدو
الا ما كان مبدأ لاضدادها سواء كان جوهرا او عرضا جسما او غير جسم داخلا في الشخص او خارجا عنه
فان كلا من هذه خصوصيات هذه الاشياء خارج عن حقيقة الصداقة والعداوة بل حقيقة الصديق والصداقة
وما يتحقق به وروح معناها هي مصدرية ما ينتفع به العبد ومنشأ منه الشر ما يهتدي به الى ما هو من باب
الخير والسلامة وحقيقة العداوة وروح معناها هي مصدرية ما يتضرر به العبد ويتشأ منه الشر والشقاوة وهو العقل
والجهل كذلك يجري به ان سمي العقل صديق المرء والجهل عدوه ومن هذا الباب ما روي عن امير المؤمنين عليه السلم الجاهل
عدو لنفسه فكيف يكون صديقا لغيره وعن رسول الله ص اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك اراد بها النفس
قبل ان تستكمل وتكتسب العقل وتتأدب بالآداب الشرعية والعلوم الحقيقية فان اكثر النفوس في اوائل
الخلقة جاهلة مكدرة بالادناس الطبيعية والارجاس الجسمانية فيجب الاحتراز عن دواعيها واغراضها الفاسدة
والمجاهدة معها كما اشار اليه بقوله ص عند المراجعة عن بعض الغزوات رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر سمي الجهاد
مع الكفار وهم الاعداء الخارجية اصغر ومع النفس وهي العدو الداخلي اكبر ووجه كون هذا الجهاد اعظم يكون العدو ملازما
في المملكة الانسانية ولان مكائدها كثيرة ومع كثرتها دقيقة خفية ولان اكثر جنودها من القوى والاعضاء
مشتركة بينها وبين العقل في الاستعمال ولان الشرط في مجاهدتها ومحاربتها ان لا يؤدي الى هلاكها وموتها بالكلية
بل ان يصير مسخرة مطيعة لامر الله مسلمة كما قال ص اسلم شيطاني على يدي واعانني الله عليه وكيفية هذه المجاهدة
مع النفس والهوى وجنودهما بالعقل وجنوده بالمحاربة بين الجندين جند الشيطان وحزب الرحمن مما يجيء
الاشارة اليه في الحديث الثاني عشر ان شاء الله تعالى ومعركة هذه المحاربة هي القلب الانساني المعنوي الذي
يتمثل فيه صور الاشياء واشباحها **الحديث الخامس وعنه عن ابن فضال عن الحسن بن الجهم قال قلت لابي**

الحسن علي الرضا عليه السلام ان قوما لهم محبة وليست لهم تلك العزيمة يقولون بهذا القول فقال ليس
اولئك ممن عاتب الله عز وجل انما قال فاعتبروا يا اولي الابصار الشرح قوما لهم محبة اي للائمة صلوات
الله عليهم وليست لهم تلك العزيمة المعهودة بين الشيعة والموالي والرسوخ في المحبة بحيث يبذلوا فيها بذل المهج
والاولاد والاموال في طريق مودة اولي القربى وموالاتهم يقولون بهذا القول اعترافا باللسان تقليدا
ونقصا لا بحسب البصيرة والبرهان فقال ليس اولئك ممن عاتب الله عز وجل مفعول عاتب ضمير راجع الى
الموصول اي اولئك ليسوا ممن كلفهم الله بعليا العرفان او عاتبهم بالقصور عن دركه ولا من الذين عوقبوا في القيمة
بعدم بلوغهم الى مرتبة الموالاة وحقيقة المحبة لهم عليهم السلام فان المحبة والموالاة لهم فرع على المعرفة بحالهم وشانهم
ومعرفة اولياء الله امر غامض لطيف لانها من جنس معرفة الله لا بد فيها من فطرة صافية وذهن لطيف وطيب في
الولادة وطهارة في النفس وبصيرة ثاقبة وعقل كامل ولهذا قال الله في مواضع من كتابه فاعتبروا يا اولي الابصار
فاعتبروا يا اولي الالباب وامثال هذه تبيين قد استفيد من هذا الحديث ان عامة الناس وضعفاء
القول مع كونهم مكلفين في الدنيا بالاسلام ولوازمه كما قال ص امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله
الا الله فهم غير مكلفين بحقيقة الايمان الا من كان منهم له قوة عقلية ومكنة استعدادية يمكنه بها الارتقاء
الى درجة العرفان والايمان فالتكليف بمعرفة حقائق الايمان متوجه اليه هو يثاب بها على قدر عرفانه
وبالاعراض عنها والجحود بها يكون في عذاب اليم وعقاب شديد على قدر جحوده وكفرانه ومما يؤيد
هذا ما قاله الشيخ المفيد عظم الله قدره في شرح كتاب الاعتقادات المنسوب الى محمد بن علي بن بابويه قدس
الله روحه الذي ثبت من الحديث في هذا الباب ان الارواح بعد موت الاجساد على ضربين منها ما ينقل
الى الثواب والعقاب ومنها ما يبطل فلا يشعر بثواب ولا عقاب وقد روي عن الصادق ع ما ذكرناه في
هذا المعنى وبيناه فقيل عمن مات في هذه الدار اين يذهب روحه فقال من مات وهو ماحض الايمان محضا
او ماحض الكفر محضا نقلت روحه من هيكله الى مثله في الصورة وجوزي باعماله الى يوم القيمة فاذا بعث الله من في
القبور انشا جسمه ورد روحه الى جسده وحشره ليوفيه اعماله فالمؤمن تنتقل روحه من جسده الى مثل جسده
في الصورة فيجعل في جنة من جنان الله يتنعم فيها الى يوم المآب والكافر ينتقل روحه من جسده الى مثله
بعينه ويجعل في نار ويعذب بها الى يوم القيمة وشاهد ذلك في المؤمن قوله تع قيل ادخل الجنة قال
يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وشاهد ما ذكرناه في الكافر قوله تع النار يعرضون عليها غدوا وعشيا
ويوم تقوم الساعة يخلد في النار والضرب الاخر من يلهى عنه وتعدم نفسه عند فساد جسمه فلا يشعر بشيء
حتى يبعث وهو من لم يمحض الايمان محضا ولا الكفر محضا انتهى كلامه وفي هذا المقام تحقيق سنعود اليه
في موضع اخر يكشف وكيفية بقاء النفوس العامية بعد فناء الاجساد فان كثيرا من متفلسفي الحكماء
واعلى انها باطلة هالكة وليس الامر عندنا كما ذكروه وقد دلت على بقائها جميع النصوص القرآنية كقوله تع

فلم

فلم نغادر منهم احدا وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم اول مرة وقوله ويوم نحشرهم جميعا وقوله
يوم ينفخ في الصور فتاتون افواجا الى غير ذلك من الآيات واما الذي استدل به المفيد رحمه الله من قوله تع
الله ذلك عند قوله اذ يقول امثلهم طريقة ان لبثتم الا عشرا فتبين ان قوما عند الحشر لا يعلمون مقدار لبثهم
في القبور حتى يظن بعضهم ذلك عشرا وبعضهم ان ذلك كان يوما وليس يجوز ذلك من وصف من عذب الى
بعثه لان من لم يزل منعما او معذبا لا يجهل عليه حاله فيما عومل به ولا يلتبس عليه الامر في بقائه بعد وفاته انتهى
فهو منظور فيه لعدم دلالته على ما ادعاه من عدم نفوس هذا القسم وبطلانها كيف والمعدوم لا يعاد كما دلت
عليه القواطع البرهانية بل انما يدل على كونهم غير معذبين ولا منعمين تعذيبا او تنعيما لا بد من بقائه
في الذكر وعدم بقاء الشعور في الذكر لا يستلزم عدم الشعور راسا كما في كثير من المنامات والاحلام
التي يراها الانسان ثم يمحوا عن الذاكرة بحيث لا يمكن استرجاعها او كليس الامر في اصحاب الكهف
كحال الذين ذكرهم الله في هذه الآية حيث قالوا لبثنا يوما او بعض يوم ثم وبالجملة فقد ظهر من هذا الحديث
وغيره من الاخبار والآيات والآثار ومن شواهد الانظار ومكاشفات اولي الابصار ان التكاليف العقلية
على حسب قوة العقل وضعفه والثواب والعقاب بمقدار ما اوتي العبد من العقل الحديث السادس
احمد بن ادريس عن محمد بن حسان وهو ابو عبد الله الرازي قال النجاشي يعرف وينكر
بين بين يروي عن الضعفاء وقال ابن الغضائري محمد بن حسان الرازي ابو جعفر ضعيف عن ابي
محمد الرازي مهمل مجهول عن سيف بن عميرة بفتح العين المهملة النخعي عربي كوفي ثقة روى عن الصادق
والكاظم عليهما السلام صح عن اسحق بن عمار بن حيان كان شيخا من اصحابنا ثقة روى عنهما عليهما
السلام وكان فطحيا قال الشيخ ثقة واصله معتمد عليه وكذا قال النجاشي صح قال قال ابو عبد الله ع من كان
عاقلا كان له دين ومن كان له دين ومن كان له دين دخل الجنة الشرح كلامه عليه السلام في صورة قياس
منطقي اقتراني شرطي من الشكل الاول من اعلى جزئيه لان المراد كل من كان عاقلا كان له دين وكل من كان
له دين دخل الجنة ينتج كل من كان عاقلا دخل الجنة اما بيان الصغرى فلان المراد من العاقل من كان
جيد الروية صحيح الفكر في امر معاشه ومعاده فكان عاملا بمقتضى رايه الصحيح ونظره الصائب فيلزمه ان يكون
متدينا اذ لو لم يكن فكره صحيحا ورايه صوابا في امر عاقبته لم يكن عاقلا بل جاهلا ولو لم يعمل بمقتضى فكره الصحيح
ورايه الصواب كان سفيها غير عاقل فثبت ان كل عاقل متدين واما الكبرى فلان من كان عاقلا
بصيرا متدينا عاملا بمقتضى عقله وايمانه كان مستحقا بفضل الله ورحمته سا هلا لجواره وجنته والله سبحانه
اجل من ان يمنع المستحق عن فضله واحسانه وهو الذي اعطى الخلق وافاد الوجود بلا استحقاق سابق
نعم الاستحقاق وحصول الايمان والعمل بمقتضى العقل والعرفان كيف يقع الحرمان عن المغفرة والرضوان
والفوز بالجنان الحديث السابع عدة من اصحابنا عن احمد بن خالد عن محمد بن عبد الرحمن بن

محمد بن علي الرقي ابو جعفر في الخلاصة اصله كوفي ثقة عين انه اكثر الرواية عن الضعفاء واعتمد المراسيل قال ابن الغضايري طعن عليه القميون وليس الطعن فيه انما الطعن فيمن يروي عنه وعندي ان روايته مقبولة عن ابي الجارود وهو زياد بن منذر الهمداني الخارفي زيدي اعمى اليه ينسب الجارودية من اصحاب الباقر روى عنهما ع وتغير لما خرج زيد قال ابن الغضايري حديثه في حديث اصحابنا اكثر منه في الزيدية واصحابنا ما يكرهون ما رواه محمد بن سنان عنه ويعتمدون ما رواه محمد بن ابي بكر الارجي عنه عن الحسن بن علي بن يقطين وهو ابن موسى مولى بني هاشم كان ثقة فقيها متكلما روى عن ابي الحسن موسى والرضا عليهما السلم عن محمد بن سنان ابو جعفر الزاهري من ولد الزاهر مولى عمرو بن الحمق الخزاعي وقد اختلف علماؤنا في شانه فالشيخ المفيد رحمه الله قال انه ثقة واما الشيخ الطوسي رحمه الله فانه ضعفه وكذا النجاشي وابن الغضايري قال انه ضعيف لا يلتفت اليه وروى الكشي مدحا عظيما واثنى عليه قال العلامة والوجه عندي التوقف فيما يرويه عن ابي الجارود وهو زياد بن منذر الهمداني الخارفي زيدي اعمى اليه ينسب الجارودية من اصحاب الباقر روى عنهما ع وتغير لما خرج زيد قال ابن الغضايري حديثه في حديث اصحابنا اكثر منه في الزيدية واصحابنا يكرهون ما رواه محمد بن سنان عنه ويعتمدون ما رواه محمد بن ابي بكر الارجي عنه عن ابي جعفر ع قال انما يداق الله العباد في الحساب يوم القيمة على قدر ما اتاهم من العقول في الدنيا الشرح المداقة في الحساب هي المناقشة فيه وقد سبق ان عقول افراد البشر متفاوتة في اصل الجوهر قوة وضعفا وكذا عقولهم المكتسبة متفاضلة كمالا ونقصا وعلمت ان التكاليف واقعة على حسب العقول فالاقوى عقلا اشق تكليفا من الاضعف عقلا فاذن نوقش في الحساب يوم القيمة مع اهل الفطانة والاقوياء بما لا يناقش به في الحساب مع الناقصين والضعفاء الحديث الثامن علي بن محمد بن عبد الله ابو الحسن القزويني القاضي وجه من اصحابنا ثقة في الحديث عن ابرهيم بن اسحق الاحمر قال العلامة في الخلاصة ابن اسحق الاحمري النهاوندي ضعيف متهم في دينه وقد ضعفه الشيخ رحمه الله في الفهرست عن محمد بن سليمان هو ابو عبد الله الديلمي ضعيف عن ابيه وهو سليمان بن زكرياء الديلمي قيل كان غاليا كذابا وكذلك ابنه محمد لا يعمل بما انفرد به للرواية وكذا قال ابن الغضايري قال قلت لابي عبد الله ع فلان من عبادته ودينه وفضله فقال كيف عقله قلت لا ادري فقال ان الثواب على قدر العقل ان رجلا من بني اسرائيل كان يعبد الله في جزيرة من جزائر البحر خضراء نضرة كثيرة الشجرة ظاهرة الماء وان ملكا من الملائكة مر به فقال يا رب ارني ثواب عبدك هذا فاراه الله ذلك فاستقله الملك فاوحى الله اليه ان اصحبه فاتاه الملك في صورة انسي فقال له من انت قال انا رجل عابد بلغني مكانك وعبادتك في هذا المكان فاتيتك لاعبد الله معك فكان معه يومه ذلك فلما اصبح قال له الملك ان مكانك لنزه وما يصلح الا للعبادة فقال

له العابد ان لمكاننا هذا عيبا فقال له وما هو قال ليس لربنا بهيمة فلو كان لربنا حمار لرعيناه في هذا الموضع فان هذا الحشيش يضيع فقال له الملك وما لربك حمار فقال لو كان له حمار ما كان يضيع مثل هذا الحشيش فاوحى الله الى الملك انما اثيبه على قدر عقله الشرح قوله فلان من عبادته ودينه وفضله فلان مبتدأ خبره محذوف كانه قال فلان كامل او معروف او نحوهما من هذه الجهات المذكورة قوله في جزيرة الجزيرة والجزر خلاف المد وهو رجوع الماء الى الخلف والجزر ايضا نضوب الماء وانكشافه عن الارض وانفراجه حين غاب ونقص ومنه الجزيرة واحدة جزائر البحر نضرة صفة للجزيرة بعد صفة للجزيرة ويحتمل ان يكون صفة للخضراء والنضرة بمعنى الحسن والرونق وقد نضر وجهه من باب طلب نضرة اي حسن ونضر الله وجهه يتعدى ولا يتعدى وفي الحديث نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها ظاهرة الماء بالظاء المعجمة والاهمال تصحيف لا وجه له ارني ثواب عبدك اي جزاء عبادته يوم الاخرة فاستقله الملك اي رآه قليلا بالقياس الى كثرة عمله وسعيه بلغني مكانك اي منزلتك في العبادة فكان معه اي كان الملك مع ذلك الرجل يومه ذلك اي في ذلك اليوم له والمراد اليوم بليلته لا لا له فلما اصبح اي اليوم الغد عليه وما لربك حمار يحتمل النفي والاستفهام اي ليس لربك حمار لانه اجل واعلى من ان يكون له ذلك او ما لربك حمار وههنا سؤالات الاول ان هذا الرجل وله هذا الاعتقاد الفاسد هل يلزم تكفيره ام لا والجواب ان صاحب هذا الاعتقاد لو كان مستبدا برايه راسخا في اعتقاده كان كافرا ولكن هذا الرجل ليس كذلك بل حاله لقصور عقله كحال النساء والصبيان فلا يوجب ذلك تكفيره والثاني ان مشاهدة الملك وتكلمه مرتبة جليلة كيف حصل لهذا الرجل الناقص العقل والايمان والجواب ان جواهر النفوس الانسانية من سنخ الملكوت وفي اصل الفطرة فلها ان ينكشف عليها شيء من الملكوت واما العائق لها من ذلك اما شواغل الحواس الخارجية او الافكار الداخلية فاذا ارتفع الشاغلان اما بالفطرة كما للنفوس الساذجة او بالرياضة كما للسالكين او بالنوم وشبهه كالمرض والدهشة فربما لاح لها شيء من الملكوت وبالجملة كلما يوجب للحواس تعطلا وللذهن حيرة فيمكن ان يتجلى فيه للنفس امر ملكوتي في كسوة مثالية الثالث انه كيف يترتب الثواب في الاخرة على عبادة هذا الرجل وشرط صحتها وهو نية التقرب الى الله مفقود لان نية التقرب فرع معرفة المتقرب اليه والجواب ان ثوابه على قدر عقله وان ادنى المعرفة مع نفي التشريك يكفي في ترتب الاجر على عمل مثله وان العبد اذا سلمت نفسه عن الصفات الذميمة والسيئات كان قابلا للرحمة الالهية الواسعة ثم مع اشتغاله بصورة العبادة من غير تكدر وافة من كبر او عجب او غيرهما قوي استحقاقه لان مع الامكان وتساوي الطرفين كان جانب الرحمة ارجح فاذا ازداد بصورة الطاعات صار الرجحان اقوى فالنجاة مبذولة على مثله في الاخرة والوجود الاخروي السالم عن العقاب غير خال عن سرور ونعيم اقل مراتبه اعظم من نعمة الدنيا بحذافيرها الحديث التاسع علي بن ابرهيم بن هاشم القمي ابو الحسن ثقة في الحديث ثبت معتمد صحيح المذهب سمع واكثر وصنف كتبا عن ابيه

هو ابرهيم بن هاشم ابو اسحق القمى اصله من الكوفة وانتقل الى قم قال العلامة ره فى صه لم اقف لاحد
من اصحابنا على قول بالقدح فيه ولا على تعديله بالتنصيص والروايات عنه كثيرة والارجح قبول قوله
عن النوفلى حسين بن يزيد بن محمد بن عبد الملك النوفلى نوفل النخع كوفى ابو عبد الله كان شاعرا اديبا
وسكن الرى ومات بها وقال قوم من القميين انه غلا فى اخر عمره عن السكونى اسمه اسمعيل بن ابى زياد
الشعيرى له كتاب يرويه عنه النوفلى وكان عاميا عن ابى عبد الله ع قال قال رسول الله ص اذا بلغكم
عن رجل حسن حال فانظروا فى حسن عقله فانما يجازى بعقله الشرح قد اشرنا فيما سبق ان العقل بالمعنى
الاول وهو الغريزة الانسانية التى بها يفارق الانسان البهايم امر متفاوت فى افراد الناس بحسب الفطرة
الاولى وكذا يتفاضل الناس فى عقولهم المكتسبة بحسب استكمال كل من العقلين المذكورين فى علم النفس
وفى علم الاخلاق وهذا الاستكمال ليس الا اشتدادا فى اصل الجوهر الفطرى فكلما كان جوهر النفس
فى اول الفطرة اقوى وانور كان تاثير العلوم والطاعات فيه اشد وابين وكماله العقلى الثانوى من جهة
احدى القوتين النظرية او العملية اشرف واعلى والى العقل الاعظم الكلى اوصل والى الحق الاول تعالى اقرب
فطبقات افراد الانسان مخالفة بحسب الهويات العقلية متفاوتة فى الكمال والنقص والشرف والخسة
ومعلوم ان الاحوال تابعة للذوات فحسنها وبهاؤها تابع لحسن الذات وشرفها ولذا روى عن امير المؤمنين عليه السلام
ان العقل عقلان مطبوع ومسموع ولا ينفع مسموع اذا لم يكن مطبوع كما لا ينفع نور الشمس وضوء العين
ممنوع وروى ايضا عن رسول الله ص انه قال لابى درداء ازدد عقلا تزدد من ربك قربا وهو المراد بقوله ص لامير
المؤمنين ع يا على اذا تقرب الناس الى خالقهم بابواب البر فتقرب انت بعقلك ومما ورد فى هذا الباب من
طريق العامة انه قال ص لواحد من الصحابة اجتنب محارم الله واد فرايض الله تكن عاقلا وعن سعيد بن مسيب
ان عمر وابى بن كعب وابا هريرة دخلوا على النبى ص فقالوا يا رسول الله من اعلم الناس فقال العاقل فقالوا من
اعبد الناس فقال العاقل فقالوا من افضل الناس قال العاقل قالوا اليس العاقل من تمت مروته وظهرت
فصاحته وجادت كفه وعظمت منزلته فقال ص ان ذلك لما متاع الحيوة الدنيا والاخرة ان العاقل هو المتقى
وان كان فى الدنيا خسيسا دنيا ويشبه ان يكون اسم العقل فى الاصل لتلك الغريزة ثم استعمل لكمالها الحاصل
فى بعض الافراد كما يطلق السواد اولا على كل كيفية قابضة للبصر بوجه ثم يطلق ثانيا على ما فيه شدة فى معنى
السوادية بالاضافة الى ما دونه فاذا قيس سواد الفيل الى سواد القير يقال ان القير اسود وان الفيل
ليس باسود وكذا الحرارة والنور وغيرهما مما يشتد تارة ويضعف اخرى بحسب هويات افرادها فاذا اطلق
العاقل على من كملت غريزته فخاصية الانسانية من العلم والتقوى اى الاحاطة بالمعقولات والتنزه عن
الجسمانيات والشهوات الحيوانية وهذا التفاوت فى افراد الناس اعنى الاختلاف بين الناقص والكامل
ههنا تفاوت عظيم ازيد من البعد بين السماء والارض ومعلوم ان سعادة كل نوع وشقاوته على حسب نشئه

ذلك

ذلك النوع فحسن الاحوال تابعة لحسن الذوات فقوله صلى الله عليه واله اذا بلغكم عن رجل حسن الاحوال
الى اخره المراد انه اذا اخبرتم او حكى لكم عن رجل انه حسن الاحوال لكثرة عبادة من صلوة وصيام او زهد او
ورع او كرم او جود او غير ذلك من محاسن الاحوال فلا تحكموا بمجرد الافعال والاحوال الظاهرة على حسن
عاقبته وصحة عقيدته وسلامة قلبه عن الافات ما لم تنظروا اولا فى حسن عقله وكمال جوهره وذاته فان النتايج
والثمرات تابعة للاصول والمبادى ومراتب الفضل فى الاجر والجزاء على حسب درجات العقول فى الشرف والبهاء
الحديث العاشر محمد بن يحيى عن احمد بن محمد عن ابن محبوب عن عبد الله بن سنان بن طريف مولى
بنى هاشم وقيل مولى بنى ابو طالب وقيل مولى بنى عباس كوفى ثقة من اصحابنا جليل لا يطعن عليه فى شئ روى
عن الصادق ع وقيل روى عن ابى الحسن موسى ع ولم يثبت ره قال ذكرت لابى عبد الله ع رجلا مبتلى بالوضوء
والصلوة وقلت هو رجل عاقل فقال ابو عبد الله ع واى عقل له وهو يطيع الشيطان فقلت له وكيف
يطيع الشيطان فقال سله هذا الذى يأتيه من اى شئ هو فيقول لك من عمل الشيطان الشرح قوله مبتلى
بالوضوء والصلوة اى بالوسواس فى فعلهما من جهة الشك فى وقوع النية او غيرها والوسوسة فى النية
سببه خلل فى العقل او الجهل بالشرع لان امتثال امر الله كامتثال امر غيره وتعظيمه كتعظيم غيره فى باب ما يتعلق بالقصد
فمن دخل عليه عالم فقام له تعظيما لدخول هذا الفاضل لاجل فضله قياما مقارنا لدخوله مقبلا عليه بوجهه لعد
سفيها فى عقله لان هذه المعانى والصفات مخطورة بالبال حاضرة حضورها حاصلا فى القلب دفعة فى الزمان
وانما يطول زمان نظم الالفاظ الدالة عليها اما تلفظا باللسان او حديثا بالنفس فمن لم يفهم نية الصلوة على هذا
الوجه فكانه لم يفهم معنى النية فليس معناها الا انك دعيت بامر الله الى ان تصلى فى وقت معين فاجبت وقمت
فالوسوسة محض الجهل فان هذه القصود وهذه العلوم مجتمعة فى النفس وتكون فى حالة واحدة ولا يكون مفصلة
مشروحة فى الذهن وفرق بين حضور الشئ فى النفس وبين حضور تفصيله فى الفكر وقد يتصور الانسان شيئا
بصورة واحدة يتضمن معانى كثيرة وقد يحكم عليه بحكم واحد يتضمن احكاما كثيرة كقولك الانسان حادث
فتصور الانسان يتضمن تصور الموجود والممكن والجوهر والجسم والمتحيز والنامى والمغتذى والحساس
والعاقل والمختار والمتحرك ونحو الاعضاء من الرأس واليد والرجل وغيرها من الصفات والاعضاء وكذا الحكم
بانه حادث حكم بانه موجود وانه فى زمان وان لعدمه زمانا سابقا ولوجوده زمانا لاحقا فهذه احكام متعددة
يتضمنها الحكم بانه حادث ولكن ليست هذه التفاصيل حاضرة فى الذهن متميزة بعضها عن بعض فهكذا القياس
فى قصد ايقاع الصلوة وغيرها ثم الوسوسة فى غير النية كاعمال الوضوء والصلوة اشنع واقبح فقوله عليه السلام
فيقول لك من عمل الشيطان هذا قوله بلسانه ولم يؤمن بقلبه به اذ لو عرف على وجه البصيرة ان الذى ياتيه
من عمل الشيطان لكان رجلا عاقلا لا موسوسا وانما يقوله تقليدا واضطرارا وذلك على وزان ما حكى الله عن
الكفار ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله هذا قولهم بافواههم ولم يؤمن به قلوبهم الا لو علموا
سألتهم

بلوقال الشيخ انا بفهم

ذلك لم يكونوا كفارًا وانما قالوا ذلك تقليدًا وسماعًا من الناس على العادة والرسم لا تحقيقًا وعرفانًا
فلذلك لا ينفعهم لا في الدنيا ولا في الآخرة فهكذا قول الموسوس في جواب من سأله من اي شيء الشهنا
فان قلت ما معنى الوسواس وما سببه القابلي وما مبدئه الفاعلي قلنا هذا من علوم المكاشفات التي
نقتبس انوارها من مشكوة النبوة والولاية وتقصر عن ادراكها العقول الرسمية بانظارها الفكرية ولكن
انموذج منه مذكور في كتب العرفاء ونحن نلخص حاصل ما ذكروه على النظم الحكمي والقانون العقلي بعد تمهيد مقدمة
هي ان اللطيفة الانسانية المسماة بلسان الشريعة بالقلب وعند الحكماء بالنفس الناطقة جوهر روحاني
متوسط في اول النشأة بين العالمين الملك والملكوت كانه نهاية هذا وبداية ذاك ينفعل فيما دونه
وينفعل عما فوقه فالقلب بمثابة ارض تكون فيها انواع المخلوقات على صورها المثالية او مثل مرآة مصقولة
تجتاز عليها اصناف الصور المختلفة فترائي فيها صورة بعد صورة ولا يخلو دائمًا عنها ومداخل هذه الآثار
المتجددة في القلب اما من الظواهر كالحواس الخمس واما من البواطن كالخيال والفكر والاخلاق النفسانية
كالشهوة والغضب وغيرهما فاذا ادرك بالحواس شيئًا حصل منه اثر في القلب وكذلك اذا هاجت الشهوة
بسبب كثرة الاكل او بقوة في المزاج حصل منها اثر فيه وان كف عن الاحساس فالخيالات الحاصلة في النفس
لا ينقطع وينتقل الخيال من شيء الى شيء وبحسبه ينتقل القلب من حال الى حال فثبت ان القلب لا ينافي
محل الحوادث الادراكية وموضوع الاحوال النفسانية فهي الاحوال هي الدواعي والارادات التي هي بواعث
للافعال المقدورة الصادرة بالقدرة في القلب في النفس والتي هي ايضًا من آثار تلك الاسباب الخارجة
والداخلة واخص الآثار الحاصلة فيه هي المسماة بالخواطر وانما هي ادراكات وعلوم اما على سبيل التجدد
او على سبيل التذكر وتسمى بالخواطر لانها تخطر بالبال بعد ان كان القلب غافلا عنها فالخواطر محركات
للارادات والاشواق وهي باعثات ودواعي للقوى والقدرة وهي علوم اي محركات للاعضاء
والجوارح وبها تظهر الافاعيل في الخارج فمبدأ الفعل البشري هو الخاطر والخاطر يحرك الرغبة وهي يحرك
العزم وهي النية وهي يبعث القدرة والقدرة تحرك العضو فيصدر الفعل من هذه المبادي المترتبة ومن عزل
الاسباب عن محلها فقد اساء الادب مع الله مسبب الاسباب حيث اراد رفع ما وضعه الله وعزل ما نصبه
فاذا تمهد ما ذكرناه فنقول ان الخواطر المحركة للارادات تنقسم الى قسمين قسم يدعو الى الشر اعني الى
ما يضر في العاقبة وقسم يدعو الى الخير اعني ما ينفع في الآخرة فهما خاطران مختلفان فافتقرا الى اسمين
مختلفين والخاطر المحمود يسمى الهامًا والخاطر المذموم يسمى وسواسًا ثم انك قد علمت ان هذه الخواطر
حادثة والحادث لا بد له من سبب محدث ومهما اختلف الحوادث دل على ان اسبابها القريبة مختلفة
سيما الاختلاف بالذات والنوع هذا ما عرف انه من سنة الله في ترتيب المسببات على الاسباب
فمهما استنار حيطان البيت بنور النار واظلم سقفه واسود بالدخان علمت ان سبب السواد غير

ب

حرر ذلك بان الشرح لزم ... ثم ... والكلام ... الشهوة والغضب ... ومن ...

هذا البالغ ...

سبب الاستنارة كذلك لانوار القلب وظلماته سببان مختلفان فسبب الخاطر الداعي الى الترغيب
الخير يسمى ملكًا وسبب الخاطر الداعي الى الشر يسمى شيطانًا واللطف الذي يتهيأ به القلب لقبول الهام الملك
يسمى توفيقًا والذي به يتهيأ لقبول وسوسة الشيطان يسمى اغواء وخذلانًا فان المعاني المختلفة
تفتقر في التعبير عنها الى اسامي مختلفة فالملك عبارة عن خلق خلقه الله شانه افاضة الخير والهام الحق
وافادة العلم والوعد بالمعروف وقد خلقه وسخره لذلك والشيطان عبارة عن خلق شانه ضد ذلك
وهو الاغواء والالجاء بالغرور والوعد بالشر والامر بالمنكر والتخويف والايعاد بالفقر عند الهم
في الخير فالوسوسة في مقابلة الالهام والشيطان في مقابلة الملك والتوفيق في مقابلة الخذلان
واليه الاشارة بقوله تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين والله الواحد الحق الذي لا مقابل له لا ضد ولا ند والممكنات
امور متقابلة وهو الواحد الفرد الخالق للازواج والاضداد والانداد والقلب مادام كونه قلب متجاذب
بين الشيطان والملك وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله في القلب لمتان لمة من الملك وعد بالخير وتصديق
بالحق ولمة من العدو وايعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهي عن الخير وعنه صلى الله عليه وآله قلب المؤمن
بين اصبعين من اصابع الرحمن والله سبحانه اجل من ان يكون له اصبع جسماني لكن معنى الاصبع وسره
وروحه الواسطة المقدرة التي بها يقع سرعة التقلب والتحريك سواء كانت الواسطة جسمًا او امرًا آخر
وكما انك باصابعك تفعل الافعال فالله سبحانه انما يفعل ما يفعله في هذا العالم باستسخار ان
الملك والشيطان وهما مسخران لقدرته في تقليب القلوب كما ان اصابعك مسخرة لك في تقليب
الاجسام والقلب باصل الفطرة صالح لقبول آثار الملائكة ولقبول آثار الشيطان قبولا متساويًا
وانما ترجح احد الجانبين على الآخر اما باتباع الهوى والاكباب على الشهوات او بالاعراض عنها
ومخالفتها ولكل من الملائكة والشياطين جنود واحزاب كما سيأتي في حديث هشام فان اتبع الانسان
مقتضى الشهوة والغضب والهوى والدواعي الذميمة والاخلاق الشنيعة ظهر تسلط العدو بواسطة الهوى
والجهل وصار القلب عش الشيطان وملكه وان جاهد الهوى والشهوات وسلك سبيل الله وتشبه
باخلاق الملائكة بالعلم والطهارة والتقوى وذكر الحق واياته واشتاق الى الآخرة وزهد في الدنيا
صار قلبه كالسماء مستقر الملائكة الكرام ومهبط الالهامات ومعدن المعارف الالهية والاشراقات
العقلية فقد ظهر لك معنى الوسوسة وقابلها ومبدءها الفاعلي الذي هو الشيطان ومعنى الالهام
الذي يقابلها وقابله ومبدئه الفاعلي وهو الملك وعلمت اسباب كل من الطرفين ومباديه وغاياته
فان قلت الداعي الى المعاصي شيطان واحد او شياطين مختلفة قلنا الذي يتضح بنور الاستبصار
وعليه شواهد الاخبار انهم كالملائكة جنود مجندة ان لكل نوع من المعاصي شيطانًا يختص ويدعوا
لها اما طريق الاستبصار فلذكره يطول ويكفيك القدر الذي ذكرناه من ان اختلاف الآثار يدل

على اختلاف المؤثرات كما مرّ في نور النار وسواد الدخان واما الاخبار فقال مجاهد ان لابليس خمسة من الاولاد قد جعل كل واحد منهم على شيء من امره فذكر اساميهم ثبر والاعور ومسوط وداسم وزلنبور فاما ثبر فهو صاحب المصائب الذي يأمر بالثبور وشق الجيوب ولطم الخد ودعوى الجاهلية واما الاعور فهو صاحب الزنا يأمر به ويزينه واما مسوط فهو صاحب الكذب واما داسم فيدخل مع الرجل الى اهله ويريه العيب فيهم ويغضبه عليهم واما زلنبور فهو صاحب السوق وبسببه لا يزالون متظالمين وشيطان الصلوة يسمى خنزبا وشيطان الوضوء الولهان وقد ورد امثال ذلك في اخبار كثيرة وكما ان الملائكة فيهم كثرة لا يحصى كذلك في الشياطين ويتولد شيطان من آخر كتكون شرر ما بكثرة الدخان من نار اخرى مثلها ويتولد ملك من ملك كحصول نور من نور وكحصول علم من علم آخر وروي عن ابي الحاصر قال قال رسول الله صلى الله عليه واله وكّل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه ما لم يقدر عليه من ذلك للبصر سبعة املاك يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب في اليوم الصائف وما بدا لكم لرأيتموه على كل سهل وجبل كلهم باسط يديه فاغر فاه وما لو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين فقال يونس بن يزيد بلغنا انه يولد مع ابناء الانس من ابناء الجن ثم ينشئوا معهم قال جابر بن عبد الله ان آدم لما اهبط قال يا رب هذا العبد الذي جعلت بيني وبينه عداوة الا تعينني عليه لا اقوى عليه قال لا يولد لك ولد الا وكل به ملك قال رب زدني قال اجزي بالسيئة سيئة وبالحسنة عشرا الى ما اريد قال رب زدني قال باب التوبة مفتوح ما دام في الجسد روح قال ابليس هذا العبد الذي كرمته علي الا تعينني عليه لا اقوى عليه قال لا يولد له ولد الا ولد لك ولد قال رب زدني قال تجري منهم مجرى الدم قال رب زدني قال اجلب عليهم بصوتك ورجلك الى قوله غرورا الحديث الحادي عشر عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد بن خالد بن عبد الرحمن بن محمد بن علي البرقي ابو جعفر منسوب الى برقة قم اصله كوفي ثقة غير انه اكثر الرواية عن الضعفاء واعتمد المراسيل عن بعض اصحابه رفعه قال قال رسول الله صلى الله عليه واله ما قسم الله للعباد شيئا افضل من العقل فنوم العاقل افضل من سهر الجاهل واقامة العاقل افضل من شخوص الجاهل ولا بعث الله نبيا ولا رسولا حتى يستكمل عقله ويكون عقله افضل من جميع عقول امته وما يضمر النبي صلى الله عليه واله في نفسه افضل من اجتهاد المجتهدين وما ادى العبد فرائض الله حتى عقل عنه ولا بلغ جميع العابدين في فضل عبادتهم ما بلغ العاقل والعقلاء هم اولو الالباب الذين قال الله وما يذكر الا اولوا الالباب الشرح قوله صلى الله عليه واله فنوم العاقل افضل من سهر الجاهل وذلك لوجهين احدهما ان قصده في النوم اصلاح مركب البدن للسفر الى الدار الاخرى ودفع السآمة عنه وتحصيل القوة كما في قول علي بن الحسين عليهما السلام فخلق لهم الليل ليسكنوا فيه من حركات التعب ونهضات النصب وجعله لباسا ليلبسوا من راحته ومنامه فيكون

جاما

جاما وقوة ونشاطا لما يقصد فلا ينفك عن رؤيا صالحة هي جزء من اجزاء النبوة كما ورد عنه صلى الله عليه واله ان رؤيا المؤمن جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة وقوله انه رؤيا المؤمن كهانة وسنعلم من يضاعف ما نذكره فيما بعد ان شاء الله وحينئذ يكون الرؤيا الصادقة حصة من النبوة قوله صلى الله عليه واله من شخوص الجاهل المراد به الذهاب من البلد طلبا للخير والثواب لجهاد او حج او طلب احاديث او غير ذلك من شخص من بلد الى بلد شخوصا اي ذهب وشخصت واشخصنا اي هان شخوصنا والوجه في كون اقامة العاقل افضل من شخوص الجاهل الى الغزو غيره ان روح الاعمال بالنيات وقصد التقرب الى الله تعالى وذلك بعد المعرفة واليقين والجاهل بمعزل عنهما قوله ولا بعث الله نبيا ولا رسولا الفرق بين النبي والرسول وحقيقة معناهما كما سيجيء في كتاب الحجة وجملة القول ان كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا قوله صلى الله عليه واله وما يضمر النبي في نفسه افضل من اجتهاد المجتهدين اعلم انه قد ثبت عند الحكماء الكاملين والعرفاء المحققين ان للعقل مراتب واعلى مراتبه هو الذي يقال له العقل البسيط والعقل الاجمالي والعقل القرآني ويقابله هو العقل النفساني والعقل التفصيلي والعقل الفرقاني وهو انه عقل بالفعل وبعد مرتبتهما مراتب العقل بالقوة والعقل بالملكة والعقل المستفاد والفرق بين الاولين ان الاول حقيقة واحدة بسيطة موجودة بوجود واحد عقلي وهو مع وحدته وبساطته كل العقول والمعقولات والعلوم والمعلومات وهو مبدء ايجاد منه مفصل المعقولات وعلمه بالموجودات السابق عليها من هذا القبيل لئلا يلزم كثرة في ذاته وعلمه الذي هو عين ذاته وهو موهبة من مواهب الله لخواص عباده ليس للكسب اليه سبيل واما العقل الثاني فهي تلك المعقولات المفصلة المتميزة عن ذلك العقل البسيط القرآني ونسبة الاول الى الثاني كنسبة البذر الى الشجر وكنسبة الكيميا الى الدنانير وقد يكون المعقول البسيط عندنا علة للمعقولات الكثيرة المفصلة كالفقيه ذي الملكة الفقهية اذا كانت بينه وبين رجل مناظرة فاذا تكلم ذلك الرجل معه كلاما كثيرا خطر بباله جواب مسائله جملة اذا اخذ في الجواب يفصله شيئا بعد شيء الى الترتيب الى ان يملأ كتابا ولم يكن تلك العلوم المفصلة حاضرة في ذهنه ولكن الحاضر فيه اولا امر بسيط هو مبدأ تلك المفصلات فهذا مثال العقل البسيط الا ان العقل البسيط اتم بساطة واشد تجريدا وهو نور من انوار الله مختص به الانبياء عليهم السلام وبعض الاولياء فهذا معنى قوله وما يضمر النبي في نفسه افضل من اجتهاد المجتهدين لان غاية سعيهم واجتهادهم هي تحصيل العلوم التفصيلية على سبيل النطق والاستدلال وابن هذا من ذاك وفي قوله تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق اشارة الى طريق المجتهدين المستدلين الذين يعرفون الحق بالخلق ويلاحظون آيات الآفاق والانفس يستدلون على وجوده تعالى وقوله تعالى او لم يكف بربك انه على كل شيء شهيد اشارة الى طريق النبي صلى الله عليه واله فانه بلغ الى مقام فيه يرى الحق وبه يستشهد على كل شيء وفي كلام سيد الاولياء امير المؤمنين عليه السلام ما رأيت شيئا الا ورأيت الله قبله وقال بعض الاولياء رأيت ربي بربي ولولا ربي ما رأيت

وقوله ص والعقلاء هم اولوا الالباب الى اخره يعنى ان العقل المذكور ههنا ليس ما يتعارفه الجمهور عندهم فيقولون
لمن له كياسة فى امور الدنيا انه عاقل ولا المراد الغريزة التى يتميز بها الانسان عن البهايم ولا المذكور فى علم
الاخلاق بل المراد منه ما يستفاد من قوله تع وما يذكر الا اولوا الالباب فعلم منه ان العقلاء هم المخصوصون
بانهم اهل الذكر اى اهل العلم والعرفان كما فى قوله تع فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وهم الراسخون فى
العلم كما دل عليه قوله والراسخون فى العلم يقولون امنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولوا الالباب وهم الحكماء
الالهيون لقوله تع يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا وما يذكر الا اولوا الالباب
وبالجملة المراد بالعاقل ههنا الموصوف بجميع ما وصفه الله به اولوا الالباب وذلك لا يكون الا العالم الحكيم
الراسخ فى العلم الكامل فى الحكمة والايمان فالعقل الذى فيه هو اخر العقول المذكورة فى صفة النفس والله
اعلم بالصواب **الحديث الثانى عشر بعض اصحابنا عن هشام بن الحكم** هو ابو محمد مولى كندة روى عن
ابى عبد الله وابى الحسن موسى عليهما السلم وكان ثقة فى الروايات حسن التحقيق بهذا الامر وروى له مدايح جليلة
عن الامامين الهمامين عليهما السلام وكان ممن فتق الكلام فى الامامة وهذب المذهب بالنظر وكان
حاذقا بصناعة الكلام حاضر الجواب وروى الكشى بسنده عن داود بن هاشم الجعفرى قال قلت لابى جعفر
ما تقول فى هشام بن الحكم فقال رحمه الله ما كان اذبه عن هذه الناحية وروى روايات اخرى فى مدحه واورد
فى خلافه روايات اجيب عنها قال العلامة عندى عظيم الشان رفيع المنزلة وفى الفهرست سئل يوما عن معوية
اشهد بدرا قال نعم من ذلك الجانب **قال قال ابو الحسن موسى بن جعفر ع يا هشام ان الله تبارك وتع** [في الحاشية: يعنى از عم الوالد]
بشر اهل العقل والفهم فى كتابه الحديث الشرح هذا الحديث مشتمل على بيان حقيقة العقل بالمعنى
المذكور اعنى المرتبة الرابعة من العقول الاربعة المذكورة فى علم النفس ومحتوى على معظم صفاته وخواصه ومدايحه
ومتضمن لمعارف جليلة قرانية ومقاصد شريفة الهية لم يوجد نظيرها فى كثير من المجلدات لكتب العرفاء ولم
يعهد شبهها فى نتايج انظار العلماء النظار ذوى دقايق الافكار الا منقولا عن واحد من الائمة الاطهار
او مسندا من طريقهم او طريق العامة الى الرسول المختار عليه واله سلام الله الملك الغفار والحديث مشتمل على
خطابات ذكر فى كل منها بابا عظيما من العلم بعضها من العلوم الالهية وبعضها من علم السماء والعالم وبعضها
من علم الفلكيات وبعضها من علم الاكوان والمواليد وبعضها فى كاينات الجو وبعضها فى علم النفس وبعضها
تهذيب الاخلاق وتطهير النفوس عن الرذايل وبعضها فى السياسات المدنية وبعضها فى المواعظ والنصايح
وبعضها من علم الزهد وذم الدنيا وبعضها من علم المعاد والرجوع الى الله وبعضها فى مذمة الكفرة والجهلة وسوء
عاقبتهم وانقلاب نشاتهم الى نشاة البهايم وانهم صم بكم عمى لانهم لا يعقلون الى غير ذلك من العلوم والمعارف
ففى هذا الحديث فصول خطابية هى مبادى العرفان وشواهد الايمان فلنشرح كل خطاب او عدة خطابات متناسبة
فى فصل واحد على ترتيبه مترجما فى عنوانه ما ذكر فيه **المشهد الاول** فى بشارة اهل العقل من جهة بداية حالهم

من كونهم

من كونهم مستعدين للتعليم قابلين لنور الهدى من الله طالبين للرشاد لكون تشويقا لهم الى طلب الهدى
وتحبيبا لهم على ما فعلوا وقوله ع **فقال فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك
الذين هداهم الله واولئك هم اولوا الالباب** اعلم ان هذه الاية تدل على فوايد الاولى وجوب النظر
والاستدلال وذلك لان الهداية والفلاح مربوطان بما اذا سمع الانسان اشياء كثيرة يختار فيها ما
هو الاحسن والاصوب وان يميز القشر عن اللباب والاحسن الاصوب عما يخالفه فى كل باب وذلك لا بمجرد
السماع وانما يتاتى بحجة العقل وذلك يدل على ان الموجب للسعادة متابعة حجة العقل وبناؤها على النظر
والاستدلال الثانية ان الطريق الى تصحيح المذاهب والاقوال قسمان احدهما اقامة الحجة والبينة على صحتها
على سبيل التفصيل وذلك لا يمكن الا بالخوض فى واحد واحد منها وثانيهما ان تعرض الخوض والبحث عن الدلايل وتعرض
الشبهات لتلك المذاهب على العقول والاذهان فكل ما حكم به العقل السليم بانه افضل واحسن كان اولى
بالقبول والاتباع مثاله صريح العقل شاهد ان القول بان اله العالم حى عالم قادر حكيم فى افعاله رحيم
القابض رحيم بالعباد اولى من انكاره وكذا القول بان الله لا يجرى فى ملكه وسلطانه الا ما كان على وفق
علمه ومشيته اولى من القول بخلافه وان القول بانه واحد فرد لا تركيب فيه ولا شريك له ولا شبه ولا ند اولى
من القول بخلافه بانه مبعض مؤلف ذو مشارك وايضا القول بانه مستغن عن الزمان والمكان اولى من القول
بافتقاره اليهما والقول بانه قد يعفو عن الكباير والسيئات اولى بانه لا يعفو عنها البتة وامثال هذه الابواب
كثيرة اولى بانه لا يعفو اصلا وكلها داخلة تحت قوله تع الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه الفائدة الثالثة
ان فى الاية دقيقة عجيبة وهى ان حصول الهداية فى العقل والروح حادث فلا بد له من فاعل وقابل كما مر اما الفاعل
فهو الله سبحانه ولذلك قال اولئك الذين هديهم الله واما القابل فهو العقل واليه الاشارة بقوله اولئك
هم اولوا الالباب فان الانسان ليس من جهة جسمه ولا جزء جسمه ولا من جهة قوة قايمة بعضو منه كالحواس وغيرها
التى توجد فى البهايم قابلا للمعرفة والهدى فما لم يكن الانسان كامل الفهم امتنع حصول هذه المعارف فى قلبه
والبرهان على ان الفاعل لهذه الهداية هو الله هو ان جوهر النفس مع ما فيها من نور العقل كما انه قابل
للاعتقاد الحق قابل ايضا للاعتقاد الباطل واذا كان الشىء قابلا للضدين كانت نسبته اليهما على السواء و
متى كان كذلك امتنع ان يكون هو المقتضى او المرجح لاحدهما لانه لا يجوز ان يكون ذات النفس او العقل مرجحا
لاحدهما وان لم يكن مقتضيا بان يريد تحصيل احد الطرفين فيصير تلك الارادة سببا لذلك الرجحان لانا
نقول ذات النفس كما انها قابلة لهذه الارادة كذلك قابلة لارادة مضادة لها فيمتنع ان يكون سببا فاعلا
لتلك الارادة فثبت ان حصول الهداية لا بد لها من فاعل ومن قابل فالفاعل ممتنع ان يكون جوهر النفس
بل الفاعل هو الله سبحانه واما القابل فهو جوهر النفس بكمال العقل وللاشارة اليهما قال اولئك الذين
هداهم الله واولئك هم اولوا الالباب **المشهد الثانى** فى انه تع اكمل نفوس حججه وانبيائه بالعقول الكاملة

المدركة لحقايق الاشياء الدالة على ربوبيته وتوحيده باعلام الله لهم الايات والدلايل ونصرته
وتاييده اياهم بها قوله ع يا هشام ان الله تبارك وتعالى اكمل للناس الحجج بالعقول ونصر النبيين
بالبيان ودلهم على ربوبيته بالادلة فقال والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم اى اكمل
نفوس الانبياء عليهم السلم بالعقول الفاضلة العلامة ليكونوا حججا على عباده وهداة لهم الى النجاة
عن حيرة الضلالة ونصرهم ببيان الحق واعلام الصدق ودلهم على ربوبيته وعلمهم طريق معرفته
وتوحيده وتلك الادلة والايات بادلة شاهدة على امره واياته كاشفة عن الهيته وتوحيده وتلك الادلة
والايات لا بد ان يكون من اثاره وافعاله ولوازمه فان طريق المعرفة بالشىء احد امور ثلثة اما من جهة العلم
باثاره ولوازمه فان طريق المعرفة واما بمشاهدة صريح ذاته لان ما لا يكون نفس الشىء ولا علته ولا معلوله
فلا تعلق له بذلك الشىء فلا دخل له فى كونه وسيلة الى معرفته اما العلم به تعالى من جهة السبب والعلة
فهو ممتنع اذ ليس لذاته سبب خارجا اذ لا فاعل له ولا غاية ولا سبب داخلى فى وجوده كمادة وصورة
لانه بسيط ولا فى ماهيته كجنس او فصل اذ لا ماهية له لان كل ذى ماهية معلول والله سبحانه صريح الوجود
الحق بلا ماهية ومحض الشهود والحضور بلا عموم وابهام واما العلم به بصريح شهوده ورؤية ذاته فذلك
لا يمكن الا بفناء هويته الممكن واندكاك جبل انيته ولم يتيسر لاحد من الانبياء عليهم السلم فى دار الدنيا
وانما وقع لنبينا صلى الله عليه واله ليلة المعراج مكالمة الحق وشهوده بلا حجاب فبقى الشق الثالث كما قال تعالى فى حق الخليل
وكذلك نرى ابرهيم ملكوت السماوات ليكون من الموقنين واعلم ان المذكور ههنا ايتان احديهما
فى ذكر الحق وتوحيده والثانية فى ذكر الايات الدالة عليه فقوله تعالى والهكم اله واحد لا اله الا هو تمام الاية
مطلوب قدم ذكره على وجه تصوير المدعى ليستدل عليه بوجوه من الدلايل والبينات وقوله ان فى
خلق السماوات الى اخره بيان للادلة والايات فلنتكلم نحن ههنا اولا فى تصوير هذه الدعوى وشرح مفهوم
وهذا التوحيد المذكور فى الاية الاولى ونفصل ايضا الاية الثانية التى هى فى بيان الادلة فان مطلوب ثم ناحية تفسيره
الماء الشارحة للشىء التى هى للسوال عن شرح اسمه ومفهومه مقدم على مطلوب هل البسيطة التى للسوال
عن اثبات وجوده او سلبه اذ لا يعلم ما شرح اسمه ومفهومه لا يمكن البحث عن اثبات وجوده او سلبه فنقول
فى الاية الاولى مبحثان الاول فى قوله تعالى والهكم اله واحد وفيه مقاصد الاول فيما يتعلق بلفظ الاله
من انه اسم او صفة جامد او مشتق علم او غيره عربى او سريانى وهو مشهور فى الكتب مسطور الثانى فيما
يتعلق بلفظ الواحد من وجوه لفظية ومعنوية احدها ان الواحد اجرى فى كلامهم على وجهين احدهما
ان يكون اسما والاخر ان يكون وصفا فالاول هو كالواحد المستعمل فى باب العدد فيقال واحد اثنان
ثلثة من غير ان يوصف به شىء اى ما كان حظ من العدد لانك اذا قلت عشرة واحدة او خمسة واحدة
فقد جعلت الواحد صفة لا اسما والثانى كما يقال انسان واحد او فرس واحد وثانيها انه اذا اجرى

هذا

[illegible]

هذا الاسم على الحق تعم جاز عند العقل ان يكون وصفا كالعالم والقادر وهذا بحسب جليل النظر وجاز ان يكون
اسما وهذا هو الثابت بالنظر الدقيق واعلم انه ليس كلامنا اذا قلنا ان الواحد عين ذاته فى نفس هذا المدلول
الكلى المفهوم من لفظ الواحد فانه مما يدركه كل احد وذاته تعم مجهول الكنه بل المراد مطابق هذا المفهوم و
مصداقه وذلك عين الذات فيه تعم زايد عليها فى غيره وهكذا قياس ساير صفاته واسمائه وستريك بيانها
وثالثها ان الواحد هو الشىء الذى لا ينقسم من الجهة التى هو بها لا ينقسم وكل ما هو موجود لا يخلو عن وحدة
فالانسان الواحد يستحيل ان ينقسم الى انسانين ولكن ينقسم من وجوه اخرى كما لا يخفى وعندنا وحدة
كل شىء هو وجوده الخاص الذى به يوجد وكلما قيل فى خلافه ابطلناه ورابعها ان الله واحد من كل الوجوه
مع كونه موصوفا باسماء وصفات لا تعد ولا تحصى وجهات وحدته ترجع الى اعتبارين البساطة والفردانية
فالاولى ان ذاته غير مولف من اجزاء لا فى الخارج ولا فى العقل ولا من الماهية والوجود كما مر والثانية انه
ليس فى الوجود ما يشاركه فى وجوب الوجود ولا فى المبدائية والالهية فالحق سبحانه واحد فى ذاته اذ لا قسيم له
وواحد فى صفاته اذ لا تزيد صفاته على ذاته وواحد فى افعاله اذ لا شريك له فى فعله اذ جميع الموجودات منسوبة
اليه اما بلا واسطة او بوسط هو فعله ايضا فكل ما فى الكون اما فعله او فعل فعله او فعل فعل فعله وهكذا الى اخر
الكون على ترتيب الاشرف فالاشرف والاقرب فالاقرب الى الاخس فالاخس والابعد فالابعد فلو لم
يكن جوده على هذا النظام لما كان لايقا بالحكيم ذى الجلال والاكرام وبطل عدل الله فى خلق السموات
والارض وانهدم النظام وبطلت الغايات والرجوع الى الماوى وانتقال النشاة من الاولى الى الاخرى
فجاء العبث والجزاف تعالى عما يقوله الظالمون علوا كبيرا والعامة والاشاعرة ومن يحذو حذوهم مع جهلهم
بكيفية الصنع والايجاد ما ولوا ان يثبتوا توحيده تعم فى الافعال واين هم مع قصورهم وجهلهم وهذا
العلم الشريف والمعالم الرفيع فانهم نحوا الى نسبة القبايح والشرور اليه تعم ونسبة الامور الخسيسة الدنية
كافعال القوى الانسانية وغيرها كالامالة والهضم ودفع الفضول وما يجرى مجراها ابتداء بلا واسطة
الى ما هو مبدع الخلق والامر وخالق القوى والقدر وهذا فى الحقيقة تكثير للفاعلية والالهية لا توحيد لها
والترتيب يجمع الكثرة فى وحدة فحيث لا ترتيب فى الايجاد لا توحيد الا ترى ان الوحدة مبدأ الاعداد
والكثرات كلها بلا مشاركة غيرها وذلك من جهة ان حصول تلك الكثرات عنها على ترتيب الواحد والاثنين
والثلثة وما بعدها بل على ترتيب بينهما واحدا فواحدا الى غير النهاية ولو لم يكن على هذا الاتساق والانتظام
لم يمكن حصول الكثرة عن الوحدة لعدم المناسبة لاجل فقد الواسطة بينهما فلا وجه لكون الواحد مبدأ
للخمسة ولا لكون الثلثة مبدأ للعشرة الا بواسطة حدوث عدة وحدات بينهما مناسبة للطرفين بها
يرتبط ذى المبدا بمبدائه واعلم ان هؤلاء واتباعهم كما لم يعرفوا توحيدا فعاله تعم مع اغترارهم بانهم عرفوه
فكذلك لم يعرفوا توحيد صفاته ولا توحيد ذاته اما الذات فقد زعموا ان له ارادة وجوبه ووحدته

زايدتان على ذاته وكل ما وجوده زايد عليه فهو قابل له وزعموا ان ذاته علة وجوده فذاته قابل وفاعل
وهما جهتان مختلفتان لا بد في حصولهما من كثرة وكذا زعموا ان له ارادة زايدة ممكنة التعلق بالطرفين
للقدرة امكانا وفرعيا وهو ينافي الوجوب الذاتي فلزم التركيب بل التناقض في ذاته تعالى عما يقولون
واما الصفات فذكر انهم بعد الجهد ابي الحسن الاشعري وهو القاضي ابو اسحق انه تعالى واحد في صفاته
بمعنى ان لا شبيه له في صفاته بوجوه الاول ان صفات غيره ليست ناشية من ذاته بل من غيره واما صفاته تعالى
فهي من نفسه لا من غيره الثاني صفات غيره مختصة بزمان دون زمان لانها حادثة وصفات الحق تعالى ليست
كذلك الثالث ان صفات الحق غير متناهية بحسب التعلقات فعلمه متعلق بجميع المعلومات وقدرته متعلقة
بجميع المقدورات وصفات غيره ليست كذلك ورابعها ان صفاته غير معلومة الكنه كذاته بخلاف صفات غيره
هذا عرفانهم في توحيد الصفات المقصد الثالث في كيفية اتحاده تعالى بصفة الوحدة والاشارة الى تحقيق
عينية الصفات للذات الاحدية واستدل المسمى بالامام الرازي على نفي عينية الصفات بوجوه احدها
ان صفاته تعالى معلومة لنا وذاته غير معقول لنا والمعلوم مغاير لما ليس بمعلوم فصفاته زايدة على ذاته وثانيها
ان هذه الصفات لو كانت نفس الذات لكان قولنا في الذات انها عالمة قادرة جاريا مجرى قولنا الذات ذات
فاستحال ان يكون ذلك في محل البحث وان يقام البرهان على نفيه واثباته فان من قال الذات ذات
علم بالضرورة صدقه ومن قال الذات ليست بذات علم بالضرورة كذبه ولما كان قولنا الذات عالمة او ليست
بعالمة ليس بمثابة قولنا الذات ذات او الذات ليست بذات علمنا ان هذه الصفات امور زايدة على
الذات وثالثها انه لو كان المرجع بهذه الصفات الى شيء واحد لانها ترجع الى ذاته وذاته شيء واحد فكان
الاستدلال على كونه قادرا يغني عن اقامة الدليل على كونه عالما وعلى كونه حيا فلما لم يكن كذلك بل افتقرنا
في كل صفة الى دليل خاص علمنا انه ليس المرجع لها الى الذات فثبت ان الصفات امور زايدة على ذاته تعالى
واستدل ايضا على كون صفاته تعالى كالعلم والقدرة والارادة زائدة بانها ليست سلبية بل ثبوتية فهي امور
حقيقية زايدة على ذاته قايمة به ثم قال فالاله عبارة عن مجموع الذات والصفات ثم استشكل على نفسه
بان حقيقة الاله مركبة من امور كثيرة فكيف القول فيه قال واشكال اخر وهو انا قد دللنا على ان الوحدة صفة
زايدة على الذات قايمة بالذات واذا كان حقيقة الحق واحدة فهناك امور ثلثة تلك الحقيقة وتلك
الوحدانية وموصوفية تلك الحقيقة بتلك الوحدانية فيرد ثالث ثلثة فاين التوحيد واشكال ثالث
وهو تلك الحقيقة موجودة واجبة الوجود فهو بوجوده يشارك الموجودات وبمهيته يمتاز عن ساير
الموجودات فهناك كثرة حاصلة بسبب الوجود والمهية واتصاف المهية بالوجود وكذا القول في الوجوب
بمثل ما ذكر ولانه كيفية انتساب الموضوع الى المحمول والانتساب بين شيئين مغاير لكل منهما فان
يكون صفة فذلك الانتساب مغايرا لهما اولى وايضا فالذات قايمة بنفسها ويستحيل ان يكون صفة

الوجوب

الوجوب امرا قايما بنفسه ولانا نصف الذات بالوجوب ووصف الشيء بنفسه محال فثبت ان وجوب
الوجود صفة زايدة على ذاته فهناك ذات ووجوب ووجود مع موصوفية الذات به فقد عاد التثليث واشكال
رابع وهو ان هذه الحقيقة البسيطة هل يمكن الاخبار عنها ام لا والثاني ح لان كل شيء مخبر عنه ولو بالشيئية
ونحوها وانه لا يخرج عن النفي والاثبات فتعين الاول فهناك امران مخبر به ومخبر عنه لا امر واحد قال فهذه
جملة من الاشكالات في هذا المقام ثم اراد التفصي عنها فقال والجواب عن الاول انه تعالى ذات موصوفة بهذه الصفات
ولا شك ان المجموع مفتقر في تحققه الى تحقق اجزائه الا ان الذات قايمة بنفسها واجبة بنفسها ثم انها
بعد وجوبها بعدية بالرتبة مستلزمة لتلك النعوت والصفات فهذا مما لا امتناع فيه عند العقل واما الاشكال
الثاني وهو ان الوحدة صفة زايدة يلزم فيها التثليث فالجواب ان الذي ذكرته حق لكن فرق بين النظر من
حيث انه هو وبين النظر من حيث انه محكوم عليه وانه واحد فاذا نظرت اليه من حيث انه هو مع ترك الالتفات
الى انه واحد فهناك يتحقق الوحدة وهنالك حالة عجيبة فان العقل ما دام يلتفت الى الوحدة فهو بعد لم
يصل الى عالم الوحدة فاذا ترك الوحدة فقد وصل الى الوحدة فاعتبر بذهنك اللطيف هذه الحالة لعلك
تصل الى السر فهذا هو الجواب عن اشكال الوجود واشكال الوجوب واما الاشكال الرابع فالجواب انك
اذا نظرت اليه من حيث انه هو من غير ان يخبر عنه بنفي واثبات فهناك حق الوصول الى مبادي عالم التوحيد
اقول تحقيق عينية الصفات يتوقف على مقدمة وهي ان اكثر الناس سيما الاكياس جمهور العلماء
لم يعرفوا الوجود وافراده ولم يفرقوا بين المفهومات والمهيات الكلية والجزئية وبين الوجودات والهويات
البسيطة الشخصية وانت ان عرفت ذلك فاعلم انه قد يكون وجود واحد بسيط بذاته مصداقا لمعاني كثيرة
وبنفسه من دون قيام صفة او اعتبار شيء زايد عليه مطابقا لحمل مفهومات عديدة لا يوجب تكثرها في
المعنى والمفهوم كثرة واثنينية في الذات ولا في الحيثية والاعتبار ولهذا امثلة كثيرة منها الجوهر المفارق
العقلي يصدق على نفس وجوده من غير قيام شيء به او اعتبار امر معه مفهوم الموجود ومفهوم الحقيقة ومفهوم
الجوهر ومفهوم العقل ومفهوم المعقول ومفهوم العاقل ومفهوم المدرك والعالم والفاعل والحي والمجعول
ولكن بعضها بالبرهان وبعضها بالحدس وبعضها بالبديهة لا شك ان هذه مفهومات متغايرة
وضعت لها الفاظ مختلفة ليست مترادفة ومع ذلك موجودة بوجود واحد بسيط فاذا كان وجود العقل
المفارق هذا شانه مع كونه زايدا على مهيته وفيه شوب تركيب عقلي من امكان ووجوب ومهية ووجود
فالملك فيما هو اشد بساطة واتم كمالا واشد حيطة وجمعا فاذا علمت هذا فنقول ان معنى كون صفاته
تعالى عين ذاته هو ان مفهوماتها المتغايرة بحسب المعنى موجودة بوجود واحد بسيط حق فذاته بذاته وجود
صرف وهو بعينه وجوب ووحدة وعلم وقدرة وارادة وحيوة وباعتبار اخر موجود وواجب وواحد
وعالم وقادر ومريد وحي وغير ذلك فذاته بذاته من حيث انها لا كثرة فيها واحد من حيث ان منشا

وحدانيته ليس صفة زائدة فهو وحدة فكذا في سائر الصفات وليس من شرط صدق المشتق
على شيء كالعالم مثلا ان يكون بازائه في الخارج امور ثلثة موصوف وصفة واتصاف ولا معروض وعارض
وعروض فلو فرض بياض مجرد قائم بذاته لكان ابيض كما كان بياضا فالصورة العقلية اذا كانت قائمة
بذاتها كانت عاقلة من حيث حضور صورة عندها ومعقولة من حيث انها صورة حاضرة عند شيء وان
كان ذلك الشيء نفسها وعقلا ايضا من حيث انها نفس ما يعقل به وهذه الحيثيات الثلثة وان تغايرت
في مدلولات الالفاظ ومعانيها الا انها لا يوجب كثرة في الوجود ولا اختلافا في جهات الوجود وحيثياته
لا عينا ولا ذهنا وقول القايل صفاته تعم معلومة لنا وذاته مجهولة فكيف يكونان واحدة قلنا ما نعلم
من كل صفة هو مفهوم الكلي مطلقا او فرض من كيفية نفسانية هي نحو وجوده فينا ولكن كلامنا في ان
هذه الصفة كالعلم مثلا هل لها نحو آخر من الموجود في غاية الجلالة هو مصداق لمفهومها ام لا فاذا ثبت
لنا بحسب البرهان ذلك الفرد مخصوص فكما انه في تاكد الوجود بحيث لا يمكن الاكتناه به فهو مجهول
غير معلوم كما انا نعلم مفهوم النور بديهة الا انه من المفهومات المشككة ونعلم بالبرهان ان بعض انحاء
وجوده وافراده ذاته في شدة النورية بحيث لا يمكن للحس ولا للعقل ادراكه بخصوصه اذ اتفق هنا وكذا
قوله هذه الصفات لو كانت كلها واحدة وهي عين الذات لكنا اذا ادركنا واحدة منها لادركنا الجميع وكان
انتهى قولنا الذات عالمة بمنزلة قولنا الذات ذات مدفوع بان نقول بناء هذه الشبهات ونظائرها
على الخلط بين المفهوم والفرد فالعينية بين الافراد لا ينافي التغاير بين المفهومات والمغالطة انما
نشات من سوء اعتبار الحمل انتهى فان المفهومات المتغايرة لا يحمل بعضها على بعض بالحمل الاولي الذاتي
وقد يحمل كل منها على افراد الباقي بالحمل المتعارف فنفس مفهوم الموجود لا يحمل عليه مفهوم الواحد ولا
بالعكس بان يقال مفهوم الموجود مفهوم الواحد ولكن يقال كل موجود واحد وكذا العكس فهكذا
قياس صفات الله الكمالية ولو امكن لاحد ملاحظة وجوده تعالى بالشهود الحضوري لعلم انه بنفس
ذاته موجود واحد وكذا العكس عالم قادر مريد حي سميع بصير من غير تكلف الاستدلال واما الاجوبة
التي ذكرها ذلك النحرير المسمى بالامام عن لزوم التثليثات مع قوله صريحا بزيادة الصفات كلها واصراره عليه
ففي غاية الركاكة ومع ذلك مشتمل على التناقض حيث جعل الذات الخالية عن الوحدة واحدة والذات
المعراة عن الوجود والوجوب موجودة واجبة وهكذا في سائر الصفات وابرد من كل بارد تكلمه بكلام
العارفين ولو تامل قليلا لعلم ان الذي اجرى الله على لسانه لجار في كل مفهوم بالنسبة الى وجوده
الذاتي ومصداقه العيني فان من نظر الى مفهوم الانسانية فهو من حيث هذا النظر غير واصل الى
حقيقة الانسانية ومن نظر الى عين وجوده وان قطع النظر من ذلك المفهوم فهو واصل الى الانسانية
وذلك ان الانسان في الحقيقة هو احد الوجودات الشخصية التي الذي هو بذاته انسان واما

مفهوم

اثبات واحدة منها مغنيا عن اثبات غيرها [illegible]

مفهوم الحيوان الناطق او مفهوم الانسان فهو ليس بانسان بالحمل المتعارف وكذا مفهوم البحر ليس ببحر ومفهوم
السلطان ليس بسلطان ومفهوم اللذة ليس بلذة وعلى هذا القياس ولكن كل وجود وموجود بحسب
حد ذاته يطابقه من المعاني بمعنى صدقها عليه فيقال انها عين ذاته ومن هذا القبيل صفاته تعالى عين ذاته
اي عين وجوده لا انها عين مهيته كلية له كما توهموه اذ لا مهية له تعالى ولا اتحاد بين الكليات والمفهومات كما مر المبحث
الثاني في قوله لا اله الا هو وفيه مقاصد الاول انه لما ذكر قوله والهكم اله واحد وكان ورود لفظ الوحدة
بعد لفظ الاله مشعرا بان تلك الوحدة معتبرة في الالهية لا في غيرها وان الاله لا يكون الا واحدا لكن ان يتوهم
احد ويقول الهنا واحد فلعل اله غيرنا غير الهنا فلا جرم ازال هذا الوهم ببيان التوحيد المطلق وقال
لا اله الا هو فان النكرة في سياق النفي تفيد عموم النفي لان قولنا لا رجل يقتضي نفي هذه المهية ونفي المهية
يستلزم نفي جميع الافراد اذ يكفي في تحققها تحقق واحد منها فثبت ان لا رجل يقتضي النفي العام فاذا قيل
بعده الا زيد افاد التوحيد التام المقصد الثاني في تحقيق كلمة هو اعلم ان الاسماء على قسمين مظهرات و
مضمرات اما المظهرات فهي الفاظ دالة على ماهيات كلية او جزئية كالانسان والفرس وكزيد وعمرو واما
المضمرات فهي الفاظ دالة على الوجودات اعني الهويات الشخصية ولذلك هي معارف بنفسها لا يحتاج الى التعريف
والتخصيص كالوجود وتعين وتشخص بذاته وهي منحصرة في المتكلم والمخاطب والغايب كانا وانت وهو وعرضنا
ثم ان تم هو والدليل على هذا الترتيب ان تصوري لنفسي من حيث اني انا لا يشتبه بغيري بخلاف انت وانك
قد تشتبه بغيرك عندي وهو اولى بالاشتباه من انت فاعرف الضماير انا وبعدها انت وبعدها هو وههنا
دقيقة شريفة وهي اني اذا قلت انا مشيرا الى ذاتي وجدت جميع المفهومات غايبا عن ذاتي حتى اجزاء مهية
الانسانية لان جميعها مما اشير اليه بهو حتى فصل الناطق فانه انما وان تخصص بالف تخصيص اشير اليه
بهو ولا شك ان انا غير هو فاذن يكون ذاتي عين الوجود البسيط الذي لا حد له ولا جزء له اذ لم اجد في
علمي بذاتي هذا العلم الشهودي الا انيتي الوجودية الحسية الادراكية واجد البدن وساير الاعضاء كالقلب
والدماغ خارجا عن ذاتي لاني اشير الى كل منها بهو واذا كان ذاتي على هذه البساطة وساير الاعضاء وهذه
التجرد فالعقول اولى واعظم فما فوقها اشد جلالة واعظم تقدسا بما لا يتناهى فان قلت اذا امكنت الاشارة
الى المفهومات الكلية بهو فكيف حكمت بان الضماير كلها للوجودات لا المهيات والمفهومات قلنا الاشارة
اليها بهو لا يستلزم ان يكون موضوعا بازائها ولكن الوجه ان الاشارة اليها ليست من حيث طبيعتها الكلية
بل من حيث حصولها الذهني وتعينها العقلي الذي هو نحو من الوجود فاذا عرفت ما قررناه فظهر ان عرفان
كل شيء بذاته اتم من عرفانه بغيره سواء كان حاضرا او غايبا فالعرفان التام بالله ليس الا لله لانه هو
الذي يشير الى ذاته تعالى بانا فلما لم يكن يمكن لاحد ممن سواه ان يشير الى ذاته بالضمير الذي هو اعرف الضماير
وهو انا الا له تعالى علمنا ان العرفان التام به سبحانه ليس الا له فبقي الطريقان الاخران وهما انت وهو واما

ان فللحاضرين في مقام المكاشفات والمشاهدات الذين فنوا عن جميع الحظوظ البشرية على ما اخبر الله عن
يونس ع بعد ان فنى في ظلمات عالم الحدث عن آثار الحدوث والامكان والانانية وصل الى مقام المشاهدة
الشهود فقال فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت وهنا ينبهك على انه لا سبيل الى الوصول الى مقام
المشاهدة والمكالمة الا بالغيبة عن كل ما سواه وقال نبينا محمد ص لا احصى ثناء عليك انت كما اثنيت على
نفسك واما هو فطلعنا بين المقصد الثالث ان اشرف الاسماء في حقه تعالى اسم هو بوجوه احدها ان
الاسم اما كلي اي دال على مفهوم كلي وجزئي اي علم اما الاسماء التي لها مفهومات كلية كالاسماء المشتقة
مثل الرحمن الرحيم العليم الحكيم فلا تدل على خصوص ذاته تعالى فلا يتناول حقيقة الاحدية اذ لا مصير لها واما
الاعلام الشخصية فهي قائمة مقام الاشارة فلا فرق بين قولك يا زيد وقولك يا هو ويا انت واما كان
العلم قائما مقام الاشارة فالاشارة اصل والعلم فرع والاصل اشرف من فرعه فقولنا يا انت ويا هو اشرف
اشرف الاسماء الا ان الفرق ان انت للحاضر وهو للغائب ثم انك قد علمت انه انما يصح التعبير عن شيء
بهو اذا كانت صورته حاضرة عند العقل فعاد الى ان المشار اليه هو الامر الوجودي الحاضر عند العقل
فاذن ثبت ان هو ايضا كانت لا يتناول الا الحاضر وثانيها انه قد مر ان حقيقته تعالى منزهة عن جميع انحاء
التركيب والفرد المطلق لا يمكن الاخبار عنه بشيء لان الاخبار عنه يقتضي مخبرا عنه ومخبرا به وهو مفهوم
كلي لا محالة وذلك ينافي الاحدية الخالصة فثبت ان جميع الاسماء المشتقة قاصرة عن الوصول الى كنه
حقيقة الحق واسم هو اشرف منها لانه يصل الى كنه حقيقته المبرأة عن جهات الكثرة وثالثها انك قد علمت
مما مر ان لكل من اسماء الله وصفاته حقيقة الهية غير معلومة الكنه لنا وانما نعلمها من جهة آثارها الظاهرة
في عالم الحدوث وهي مختلفة فان اثر العلم ههنا شيء آخر واثر القدرة شيء آخر واثر الارادة آخر وهكذا في
ساير الصفات لان هذا العالم عالم التفرقة وعالم القدس مقام الجمعية فاذا هذه الصفات لا يمكن تعقلها
الا باثارها المختلفة فلا تفيد كمال استغراق في مقام معرفة الحق بل كانها لاختلاف مفهوماتها تصير حجابا
بين العبد وبين الاستغراق في معرفة الرب بخلاف لفظة هو فانها تدل على هويته ذاته تعالى من حيث كونه هو هو
لا من حيث لصفات لازمة الاضافة الى عالم الحدوث فكانت كلمة هو اشرف الاذكار ورابعها انك اذا قلت
هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلم فلفظة هو بمنزلة الذات من الاسماء وغيره بمنزلة الصفات والذات اشرف
من الصفات فلفظة هو اشرف من جميع الاسماء وهذه الوجوه مما ذكره الفخر الرازي في تفسيره الكبير واعلم
ان هذه الاقوال والوجوه انما يليق للمتوسطين في معرفة الله وصفاته واما الكاملون في العرفان فحقيقة
كل اسم عندهم هي حقيقة الذات الالهية فحقيقة كل اسم عندهم علمه تعالى عندهم واجب لذاته واحد حقيقي
فاعل للممكنات مرجح لها مريد اياها حي سميع بصير متكلم مقدس حكيم رحيم الى آخر الصفات فانهم يعلمون
بالبرهان ان علمه تعالى هكذا فيد يكون من نفس علمه ما يدركه غيرهم من كل صفة وهكذا يعلمون حال وجوده

ووحدته

ووحدته وقدرته وارادته وحيوته وقد اشرنا سابقا ان صفاته تعالى سيما الثبوتية لها حقيقة واحدة الهية
فيترتب على كل منها ما يترتب على غيره ولهذا ذهب بعض العرفاء ان كل اسم من الاسماء هو الاسم الاعظم فاذن
التفاضل والاختلاف بين الاسماء والصفات انما يكون بحسب اوايل مفهوماتها الكلية وعلى حسب مرتبة المريدين
والمتوسطين في السلوك لا المتوغلين في العرفان والله ولي التوفيق فهذا ما ذكرناه في الآية الاولى في نحو مطلب
التوحيد وتقرير هذه الدعوى وفيها مباحث اخرى كثيرة اثرنا الاختصار على هذا القدر حذرا عن التطويل والاسهاب
وملال الطلاب واما الآية الثانية المشتملة على ذكر الدلايل والآيات فهي قوله تعالى ان في خلق السموات
والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء
من ماء فاحيى به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين
السماء والارض لآيات لقوم يعقلون اعلم ان الله تعالى ذكر في هذه الآية تعليما للعباد ثمانية انواع من الدلايل
التي يمكن ان يستدل بها على وجوب وجوده ووحدانيته وبراءته عن النقايص والاضداد والانداد ولنذكرها
في ثمانية فصول اولها في خلق السموات والاستدلال بها من وجوه ونحن قبل الخوض في كل منها نذكر وجوها
ذكرها بعض متكلمي الاسلاميين ونظهر وجه خللها وقصورها ثم نخوض فيما افادنا الله من لطفه واحسانه
واعلم ان من عادة هؤلاء القوم انهم اذا حاولوا ان يعرفوا صانع العالم وقدرته ابطلوا الحكم والغايات وعطلوا
الطبايع التي سخرها الله لبعض الافعال عن فعلها وكلما لم يعرفوا وجه الحكمة فيها من الامور نسبوها الى الفاعل المختار
والقدرة الجزافية التي ليس لها داع ومرجح ولم يعلموا ان ذلك جهالة محضة وسوء ادب بالنسبة الى الباري جل
اسمه حيث ابطلوا الحكمة وعزلوا المسخرات باموره عن ما خصها الله به من الافعال مثل الشيطان شانه الاضلال
والاغواء لمن سلط عليه الشهوات والاهواء وقد نصبه الله لذلك فهل يمكن عزله عن فعله او نسبة فعله الى غيره من
ملائكة الرحمة فهكذا الامر في طبايع النار والماء والهواء والشجر والحيوان والانسان والجن والسماء والشمس
والقمر والنجوم والملائكة العمالة المحركة لها والملائكة العلامة المشوقة لها فطريقة معرفة الله بها انما هي بالسلوك
بالسلوك العقلي من ظواهر الموجودات وقشورها الى بطونها واسرارها ومن ادانى الكاينات الى عواليها ومن
ملكها الى ملكوتها ومن ملكوت كل شيء الى الذي بيده الملك والملكوت واليه يرجع الامر كله اذا تقرر هذا
فنقول ان الوجوه التي ذكره الفخر الرازي في الاستدلال على وجود الصانع ووحدانيته من جهة خلق السموات
كثيرة احدها ان مقادير الافلاك مختلفة مع ان جميعها مشتركة في الطبيعة الفلكية فاختصاص كل منها بمقدار مخصوص
مع انه لا يمتنع في العقل وقوعه على ازيد من ذلك او انقص فلا بد له من مخصص وليس ذلك طبيعة او نفسا او عقلا
وبالجملة سببا موجبا لان الموجب نسبته الى الامور المتشابهة متساوية فاذا ثبت وجود قادر مختار مدبر
وثانيها بالنظر الى احيازها فان كل فلك يماس بمحدبه فلكا آخر فوقه وبمقعره فلكا آخر تحته ثم ذلك الفلك
متشابه الاجزاء فطبيعة كل من طرفيه كطبيعة الطرف الآخر فكلما تصح على محدبه تصح على مقعره فتصح على كل منهما

ملاقاة ما يلقاه الآخر من صيرورة جزئه العالي سافلا وجزئه السافل عاليا فاختصاص كل جزء من الفلك
بحيزه المخصوص يحتاج الى فاعل مخصص مختص بالقصد والاختيار وثالثها ان كل كوكب حصل في نقرة
من فلكه اختص بها جانب خاص من الفلك دون غيره من الجوانب وحصولها في كل جانب جائز لتشابه
اجزاء الفلك فلا بد من مخصص يخصص حصول النقرة بذلك الجانب على وجه المذكور ورابعها ان كل
كرة تدور على قطبين معينين فاذا كان الفلك متشابه الاجزاء كان جميع النقط المفروضة عليها متساوية
وجميع الدوائر عليها متساوية فاختصاص نقطتين معينتين منها بالقطبية دون ساير النقط مع استوائها
في الطبيعة يكون بامر يقتضي العقل بافتقاره الى المقتضي وهكذا القول في تعيين دائرة معينة من دوائرها
بان يكون منطقة وخامسها ان الاجرام الفلكية مع تشابهها في الطبيعة الفلكية كل واحد منها مختص بنوع
معين من الحركة في البطوء والسرعة فانظر الى الفلك الاعظم مع عظمته انه يتم دوره في اليوم بليلة
والفلك الثامن الذي هو اصغر منه يدور الدور التام في ستة وعشرين الف سنة على ما هو قول الجمهور ثم الفلك
السابع الذي تحته يدور في ثلثين سنة فاختصاص الاعظم بمزيد السرعة والاصغر بمزيد البطوء مع انه على خلاف
حكم العقل فانه كان ينبغي ان يكون الاوسع ابطاء حركة لعظم مداره والاصغر اسرع حركة لصغر دوره يقتضي العقل
بان كل واحد منهما انما اختص بما هو عليه بتقدير العزيز العليم وسادسها ان الفلك الممثل اذا فصل عنه الخارج
المركز بقي متممان احدهما حاوي الخارج المركز والآخر محوية وكل منهما متشابه الطبيعة ثم احد جانبيهما بغاية
الثخن والآخر بغاية الرقة واذا كان كذلك وجب ان يكون نسبة الثخن والرقة الى الطبيعة متساوية فاختصاص
احد جانبيه بالرقة والآخر بالثخن لا بد وان يكون بتخصيص المخصص المختار وسابعها انها مختلفة في جهات
الحركات فبعضها من المشرق الى المغرب وبعضها من المغرب الى المشرق وبعضها شمالية وبعضها جنوبية مع ان جميع
الجهات بالنسبة اليها على السوية فلا بد من الافتقار الى المدبر وثامنها انا نراها الآن متحركة فاما ان يقال انها
ازلية متحركة او ما كانت متحركة ثم ابتدأت بالحركة والاول وهو انها كانت ازلية متحركة محال لان ماهية الحركة تقتضي
المسبوقية بالغير لان الحركة ممتنعة البقاء والابتداء بالحركة بعد عدمها يقتضي الافتقار الى مدبر قديم فهو سبحانه
يحركها بعد ان كانت معدومة او ساكنة قال وهذا المأخذ احسن واقواها وتاسعها ان يقال حركاتها اما
ان يكون من لوازم جسميتها وهو محال لانها منفكة عن كل واحد من اجزاء تلك الحركة فاذن كل واحد من اجزاء
الحركة ليس من لوازمها فافترقت الافلاك وابتداء حركاتها الى مدبر آخر انها جعلت على حكمة اوهي واقعة
بالعبث اما الثاني فبعيد عن العقل فان من جوز في بناء رفيع وقصر مشيد ان التراب والماء انضم احدهما الى
الآخر ثم تركبت منها اللبنات ثم تركبت تلك اللبنات وتولد من تركيبها قصر مشيد عال فانه يقضي عليه
بالجنون ونحن نعلم ان تركيب هذه الافلاك وما فيها من الكواكب وما لها من الحركات ليس اقل من ذلك
البناء فثبت انه لا بد من رعاية حكمة وعاشرها انها لا تخلو اما ان يكون احياء ناطقة فهي تتحرك بانفسها

او يقال

او يقال انها يحركها مدبر قاهر والاول باطل لان حركتها اما ان يكون لطلب استكمال او لا لهذا الغرض فان كانت
لطلب الكمال فهي ناقصة في ذاتها طالبة لكمالها فتحتاج الى مكمل فهي مفتقرة وان لم يكن لغرض فهي عابثة
في افعالها فيعود الامر الى انه لا يبعد في العقول ان يكون مدار هذه الاجرام المستعظمة والحركات الدائمة
على العبث والسفه فلم يبق في العقول قسم هو اليق بالذهاب الا ان لها مدبرا قاهرا على الدهر يحركها
لاسرار خفية وحكمة لطيفة وليس عندنا الا الايمان بها على الاجمال كما قال ويتفكرون في خلق السموات
والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا فهذه هي الوجوه التي ذكرها وكلها ضعيفة سخيفة لان اكثرها مبنية
على ان الفاعل المختار يفعل فعلا بلا مرجح وذلك باطل كما مر واكثر ما ذكره مغالط لها اجوبة مذكورة في
كتب العقلية وفي كثير منها ما مقدمات مقدوحة او خطابية لا تعويل عليها مثل ما ذكره في الوجه الاول ان
مقاديرها مختلفة والجميع مشتركة في الطبيعة الفلكية والحق كما دل عليه البرهان ان طبايعها متخالفة الانواع
وان كل فلك وكل كوكب نوع منحصر في شخصه وكذا ما ذكره في الوجه الثاني مقدوح بانه ليس للفلك جزء
بالفعل ليس المتمايزة باحد اسباب القسمة من الوهم او القطع او الكسر والذي يصح فيه هو الانقسام الوهمي
فاذا اقسمه الوهم وفرض فيه جزء مماس لمقعره فهذا من ضرورات القسمة بهذا الوجه وهذا جار في كل مقدار متصل وجد
جزءه بعد وجوده كله لا خصوصية له بالفلك وكذا ما ذكره في الوجه الخامس ان الافلاك مشتركة في الطبيعة الفلكية
وكل منها مختص بنوع من الحركة مدفوع بانها متخالفة الانواع والطبايع فيجاز ان يكون طبيعة بعضها يقتضي
نوعا من الحركة وقدرا من السرعة لا يقتضيه طبيعة الآخر ولولا مخافة التطويل لاوردنا في كل واحد واحد من الوجوه
التي ذكرها ما يكشف عن وجه بطلانه وفساده بقي الكلام في وجه اختصاص موضع من الفلك بالمنطقة او بالقطبية
او بالكوكب وهذا الاشكال في نفسه لا يندفع بما ذكره اذ نسبة الفاعل المختار الى الجميع نسبة واحدة وهو اجل وارفع
من ان يكون له مشية او عناية بجزء من الفلك دون غيره ونحن بفضل الله وعنايته قد فككنا عقد هذه الشبهة
في رسالة مفردة وذكره يؤدي الى التطويل فلنرجع الى الوجوه التي وعدنا ذكرها وهي اربعة براهين البرهان
الاول من جهة اجسامها وهو ان اجسامها ممكنة الوجود فهي مفتقرة الى سبب وعلة وذلك لتركبها من مادة وصورة
ولقبول الجسمية الانقسام والكثرة وليست علتها مادتها لان القابل يمتنع ان يكون فاعلا ولا صورتها
لانها محتاجة في وجودها اليها حاجة الحال الى المحل وهو ظاهر ولا ايضا نفوسها لان النفس لا تفعل شيئا
الا بشركة البدن وايضا ان الجسم لا يفيد جسما آخر اذ لو افاد فاما ان افاد من حيث جسميته وهي طبيعة مشتركة بين
الاجسام كلها فيكون كل جسم علة لكل جسم ويكون الجسم علة لنفسه وهو محال وان افاد بواسطة خصوصية صورة
او قوة جسمانية او نفس وكل قوة جسمانية لا تفعل شيئا الا بمشاركة وضع لمادتها بالقياس الى ذلك الشيء ولا
وضع للشيء بالقياس الى الجسم ما لم يوجد بعد وايضا الايجاد فرع على الوجود والمستغني عن الشيء في فاعليته مستغن
عنه في وجوده فلو استغنى النفس والقوة في فعلها عن الجسمية والاوضاع لكانت مجردة عنها لذاتها غير مفتقرة لها

بوجه وهو ممتنع ثم ان الاجسام الفلكية بعضها حاو وبعضها محوى والحاوى لا يصح كونه علة للمحوى والا لكان مع وجوبه
امكان المحوى لان وجوبه على هذا الفرض بعد وجود الحاوى لا فى مرتبته وامكان كونه مع امكان لا كونه فيلزم امكان
الخلاء الخلا ممتنع لذاته كما ثبت والمحوى ايضا لا يمكن ان يكون علة للحاوى لانه اصغر منه ولانه يحتاج اليه
فى تحديد جهته ولا يصح وجود الجسم الا بعد تعين وضعه وحيزه ولا يتعين ذلك الا بما هو فوقه ويحيط به وايضا الاجسام
الفلكية اشرف الاجسام الفلكية لانها كاينة لا عن استعداد وتركيب مزاج واستحالة والكواكب اشرف ما فيها وهى
مع ذلك متكافية ليس لبعض الكواكب شرف مطلق على البواقى لان بعضها اعظم جرما واصغر فلكا وبعض اصغر اخر
جرما واعظم فلكا والشمس اعظم جرما واكثر نورية من العلويات وبعض الحجة لذلك والجسمية يتوهم فيها ان يكون علة لغيرها والعلويات
بعضها يحتمل ان لا يكون اصغر جرما منها كزحل مثلا ولكن كل منها اعظم فلكا من الشمس حتى ان تدويرها هو
اسفل منها وهو مريخ اعظم من ممثل الشمس فاذا كانت كذلك فليس بعضها لوجود البعض ثم ان الشمس التى يتوهم
فيها الربوبية يحتاج فى تحيزها الى فلك حامل ثم لكن فيه الى فلك حاو يحدد جهتها وايضا قد علمت بالبرهان
ان جسميتها ليست علة للجسم وحال صورتها وطبيعتها ونفسها كما سبق فاذن الافلاك كلها مفتقرة الى اسباب
فعالة مفارقة عن عالم الاجسام ونفوسها لان واجب الوجود واحد بسيط لا تركيب فيه وتلك الاسباب
هى ملائكة الله المقربين والكل مفتقر اليه سبحانه فهذه طريقة الخليل ع فانه لما نظر الى السماوات وراى ما
فيها من الاجسام النيرة التى هى اشرف منها والشمس التى هى اشرف النيرات واضواها وعلم بتجدد افولها
فى حضيض الافتقار والامكان والحاجة الى الموجد حكم بان للكل خالقا بريئا من التغير والتجسم فقال وجهت
وجهى للذى فطر السماوات والارض وذلك بالهام الله تع وتعليمه اياه كما قال وكذلك نرى ابرهيم ملكوت
السماوات والارض ليكون من الموقنين وهو اول من هدى الناس الى طريق توحيد الرب تع ومنعهم عن
عبادة الهياكل العلوية والاصنام الارضية وفتح لهم بهذه الطريقة باب التوحيد البرهان الثانى من جهة غاية
حركاتها فنقول انا ندعى اربعة ان السماء حيوان ناطق يتحرك بالارادة دائما طاعة لله تع وله جسم ونفس ونفسه
عقل وحكم جسمه بجميع اجزائه البسيطة والمؤلفة يجرى مجرى حكم بدن الانسان بجميع اجزائه اعضائه المختلفة
الصور والاشكال وان حكم نفسه بجميع قواها السارية فى جميع اجزاء جسمه المحركة والمدبرة لانواع الموجودات
حكم نفس الانسان الواحد السارية فى جميع اجزاء بدنه ومفاصل جسده والمحركة والمدبرة بقواها لعضو عضو
وحاسة حاسة من بدنه وذلك قوله تع سبحانه ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة وانها متحركة عن نفسه لا عن طبيعته
وان لها تصور الجزئيات ولها التعقل للكليات فانها ليس غرضها فى الحركة الاهتمام بالسفليات بالقصد
الاول وان ترتب عليها نظام السفليات بالطبع بل قصدها التشوق الى الله والتقرب اليه بواسطة جوهر
مقدس نورى لا علاقة له بالاجسام وعوارضها يسمى بلغة الاوائل عقلا مجردا وبلسان الشرع ملكا مقربا
ثم نثبت هذه الدعاوى على التفصيل الدعوى الاولى انها تتحرك بالارادة اما انها تتحرك فشاهد وقد دلت

عليه

عليه البرهان اللمى وهو انها لو فرضت ساكنة كان لها وضع مخصوص حتى يكون نصف منها فوق الارض ونصف آخر
تحتها ولو فرض الاول تحت الارض والآخر فوقها كان ممكنا لتشابه الاجزاء وعدم تمايزها فى الاقتضاء فاذن هى
قابلة للحركة وكل قابل للحركة لا بد ان يكون فى طبعه ميل كما بين فى موضعه وذلك بالدورة حول الوسط لامتناع المستقيمة
فى السماء اذ الجهة قائمة بها فلو تحركت لتحركت الى صوب ولا جهة وهى محال فوجب فى طبعه ميل مستدير حتى يمكن لها
الدوران واذا وجد المبدأ والقابل لزم الفعل والحركة اذ لا مزاحم ولا قاسر لها ثم يستحيل ان يكون هذه الحركة
بالطبع المحض الخالى عن الارادة لان حركة ما يتحرك بالطبع المحض كالمبنى والجماد لا يكون فيها رجوع وانعطاف
الا على سمت واحد فان الحركة الطبيعية هرب من موضع لطلب موضع آخر فاذا وصل الى الموضع الطبيعى استقر فيه ولا يعود
وما وضع للسماء تفارقه الا ويعود اليه وهى دائبة على الدوام فلا يكون بالطبيعة بل بالارادة والاختيار
وهى لا يكون الا بالتصور وكل ما له تصور وارادة فانه يسمى نفسا فاذا حركة فاذا حركة الافلاك نفسانية
والدعوى الثانية ان هذه الحركة ليست حيوانية محضة غير عقلية لان حركات الحيوانات اما شهوية او غضبية والاولى
لجذب الملائم للجسم وطلبه والثانية لدفع المنافر له والهرب عنه وجسم الفلك تام فى كماله الجسمى فى اول الفطرة
لا حاجة له الى الغذاء والنمو حتى ينتهى ولا ضد له حتى يغضب وبهذا كل من الجذب والدفع والطلب والهرب انما
يمكن بالحركة المستقيمة وهى غير جائزة عليه فتحركاتها اذن لغرض عقلى الدعوى الثالثة انها ليست تتحرك اهتماما
بالعالم السفلى بل غرضها امر اجل منه واشرف لان ما يراد لشئ او يفعل لشئ فذلك الشئ الاولى اشرف منه وهو
اخس من ذلك الشئ لا محالة فيؤدى الى ان يكون العلويات اخس من السفليات وهى ما فيه متغيرة بالقوة دائما وجملة
الارض بما فيها جزء يسير لا قدر لها محسوسا بالنسبة الى فلك الشمس وما فوقها فضلا عن الفلك الاعلى فكيف
يكون هذه الامور الخسيسة غرضا لتلك النفوس العالية واما العقول الكاملة الانسانية فهى من حيث صيرورتها
عقولا خارجة عن هذا العالم وانما الداخل فى هذا العالم اجسادهم العنصرية وقواها المتعلقة بها وحكمها فى
الخسة كحكم غيرها مع ذلك تفاوت بحسب اعتدال المزاج والدعوى الرابعة ان حركاتها ليست حيوانية شهوية
او غضبية بل عقلية وليس مطلوبها من السفليات فاذن مطلوبها امر علوى اجل من نفوسها وذلك لان
غرضها لو كان نفوس بعضها لزم توافق الحركات وقد دلت المشاهدة والارصاد على انها متخالفة الحركات
قدرا وجهة شرقا وغربا شمالا وجنوبا وايضا لما كان عددها متناهيا ننقل الكلام الى نفس الفلك الذى
هو آخر ما اليه التشوق والقصد على ان النفس ما دامت كونها ناقصة بالقوة يحتاج الى كامل ومكمل غير ذاتها
فثبت ان المتشوق اليه والمقصود فى حركات الافلاك امر خارج عن عالم الارض والسماوات فمقصودها اما
نيل ذات ذلك المتشوق عليه او صفاته او نيل التشبه به على التدريج والاول والثانى باطلان لانها
ان نالت بها فسكنت وان لم تنل اصلا فقنطت فسكنت ايضا والحركة دائمة ما دام استدامتها باقية فاذن تحركها
لنيل التشبه تدريجى لموجود كامل بالفعل ليس فيه امر بالقوة والا لزم التسلسل او الدور وهما باطلان
محالان

فذلك المعشوق المتشوق اليه اما الباري جل اسمه بلا واسطة او جوهر قدسي وملك مقرب من عالم امره وكلمته
والاول ليس بصحيح لما اختلفت الحركات وانتقضت الجهات وبقي الثاني والحق ان لكل واحد منها محرك
نفساني مباشر لحركاتها لان الحركة لها جزئيات شخصية ففاعلها القريب لكونه فاعلا بالارادة له ارادة
جزئية تابعة لتصورات خيالية وله محرك اخر عقلي يفيض منه على نفسه تلك التصورات تشويقا لها اليه وهو المحرك
العقلي على سبيل الغاية والمحرك نفساني محرك على سبيل الفاعلية ولما اختلفت الكرات والحركات فلها
غايات ومعشوقات متكثرة هم الملائكة المقربون ولما اتفقت كلها في الحركة الفلكية وفي دورية الحركات
فللكل معشوق واحد وغاية واحدة هو غاية الغايات ومنه مبداها واليه منتهاها بيده مجريها ومرسيها باسم الله
مجريها ومرسيها فقد علمت او تحدست بان هذه الحركة الفلكية عبادة اما ملكية او ملكوتية تقربا الى الله وعبودية له
وتشوقا الى عالم ملكوته الاعلى البرهان الثالث انه من جهة النظر في حركاتها من حيث مبداها فنقول ان
الحركة على الاطلاق تدل على وجود مبدا مفارق خارج عن هذا العالم وذلك لان الحركة خروج من القوة الى
الفعل ففيها جزء سابق وجزء لاحق وكلها حادثة ووجود الحادث بغير سبب محال وسببه لو كان موجودا
قبله لم يمكن حدوثه فيفتقر الى مزيد حالة او شرط بها يصير بعد ما لم يكن فاعلا ولا يحدث السبب بما هو سبب
ما لم يحدث تلك الحالة والسؤال في تلك الحالة لازم فيفتقر الى سبب اخر وهكذا فتسلسل الاسباب
فيفتقر الاحداث بالضرورة الى اسباب لا نهاية لها ولا يخلوا اما ان يكون موجودة معا او متعاقبة والاول
محال لنهوض البراهين على بطلان اللاتناهي في الاسباب والعلل المجتمعة معا فلم يبق الا الى اللاحق
على وجه الاتصال اذ لو انفصلت الحوادث عاد المحذور الاول وذلك لا يكون الا بحركة دايمة ولا يحتمل
شيء من الحركات الدوام الا الدورية ومحلها ليس الا الفلك وانه حدوث الحادث وتكون الكاين ههنا
لا يمكن الا بالحركة ما دامت موجودة وكل متحرك لتحرك غير ذاته المتحركة المستقيمة وهي دلت على اختلاف الجهتين
ولا يمكن اختلافهما الا بجسم محيط وهو السماء فثبت وجود السماء وانها متحركة دايما ما دامت موجودة وكل
متحرك لمحرك غير ذاته المتحركة بوجوه من البراهين المذكورة في الكتب لا نطول الكلام بذكرها ويكفي ما
سبق ذكره من كون قابل الشيء غير فاعله فنقول ان فاعل هذه الحركة يجب ان يكون ذا قوة غير متناهية في الاثار
وليس شيء من الاجسام وقواها السارية فيها ونفوسها المتعلقة بها كذلك فمحرك الافلاك وفاعلها
ليس بجسم ولا جسماني بل امر متقدس عن التغير والتجسم وهو الباري جلت عظمته او ملك مقرب هو امره
لكن الافلاك لكثرتها واختلافها نوعا وشرفا واختلافها حركاتها جهة وقدرا ينبغي ان يكون اسبابها القدسية
متكثرة حسب تكثرها كما دل عليه قوله تعالى واوحى في كل سماء امرها والله سبحانه مبدع الامر والخلق وهو
مبدا العقل والجسم البرهان الرابع وهو مما افادنا الله بالهامه وهو انا اقمنا البرهان على حدوث الاجرام
الفلكية وطبايعها ونفوسها في كل ان ولحظة وان لها في كل ان ولحظة وان لها في كل ان خلع وليس جديد

وخلق وبعث جديد وهذه المقدمة مما قد احكمناها بوجوه برهانية ومقدمات حكمية يحكم كل عاقل منصف بصحتها
بعد النظر والامعان فيها يطول ذكره ههنا ويدل عليه شواهد قرانية من قوله بل هم في لبس من خلق جديد وقوله
كل يوم هو في شان وقوله وترى الجبال الاية وغير ذلك فاذن بعد تمهيدها نقول ان الافلاك لتجدد بذواتها
وحركاتها الجوهرية المستلزمة لهذه الوضعية يفتقر كل منها الى مبدء عقلي خارج عن عالم الكون والتجدد فلا بد في
تجددها من تجدد علتها القريبة فيعود الكلام في تجدد علتها وينتهي الامر الى الا نهاية فلما التجدد والحدوث
اذا كان زايدا على ذات الشيء ونحو وجوده فهناك يعود الكلام الى سبب الحدوث واما اذا لم يكن الحدوث زايدا
على ذات الشيء ونحو وجوده بل يكون وجوده على نحو التجدد والانقضاء فلا يحتاج الا الى علة لنفس ذاته المتجددة
لا التجدد كما هو المشهور في نفس الحركة لكن الحركة عندنا امر عقلي عبارة عن مفهوم التجدد والانقضاء وما به التجدد
هو شيء اخر وهو المقولة التي تتجدد كذلك ولما كانت الاعراض تابعة للجواهر فتغيرها مع ثبات الجواهر كلها غير
جايز فيجب في الوجود جوهر متجدد الذات وهي لا يكون الا الطبايع الجسمانية وذلك لتركبها من مادة شانها
القوة والزوال ومن صورة شانها الفعلية والحصول فيتعاقبان معا الى ما شاء الله كما فصلناه في مقامه ونقول
ان حركتها الذاتية متوجهة نحو غاية ذاتية ينتقل اليها هي اعلى منها فينتقل نشاتها في كل لحظة من هذا العالم الى عالم
الاخرة وجوار القدس والله يعقبها بالبدل ويحفظ نوعها بتعاقب الامثال ويوجد صورة عقلية هي موجودة
عند الله دايما وكذا كل نوع جسماني والصورة المفارقة هي خزاين علم الله وعالم امره وقضائه فكلها سوى الله ليست
حادثة وانها ليست مما سوى الله لانها غير مباينة الذوات عنه تعالى وانما هي باقية ببقاء الله لا بابقاء الله كما انها
موجودة بوجوده لا بايجاده ولعل الكلام خرج عن طاق الافهام والذي ذكرناه مجمل له تفصيل شارح له مذكور في
رسالتنا في حدوث العالم هذه هي وجوه من التفكر في خلق السموات ولنا انحاء كثيرة من ابواب التدبر في
حكمة الصانع في خلق الافلاك وما فيها من العجايب الروحانية والجسمانية بحيث يقضي العاقل اخر العجب تركنا ذكرها
مخافة التطويل وانت ايها العاقل المتفكر او نظرت الى اثار رحمة الله في هذا العالم لقضيت العجب من ان الرحمة
الالهية لما لم يجز وقوفها على حد لا يتجاوزه حتى يبقى وراءه الامكان الغير المتناهي من اشخاص الانواع وجب مادة
قابلة ذات قوة القبول الى غير النهاية كما ان للمبدا قوة الفعل الى غير النهاية وكان لا بد من تجدد الفيض من تجدد امر ما
متجدد بذاته فوجدت اشخاصا ملكية دايرة لاغراض علوية يتبعها استعدادات مادية غير متناهية لتنتظم الى فاعل غير
متناه في قوة التاثير والايجاد وقابل غير متناه في القبول والامداد فينفتح باب نزول البركات ورشح الخيرات ابدا في
الازال والاباد ويحصل الفيض على كل قابل بحسب استعداده واستحقاقه اذ المبدء الواهب لا تغير فيه ولو كان للتمثل
استحقاق قبول نفس اشرف كالانسان لحصلت فيها من فيض جوده سبحانه ولنكتف ههنا بهذا القدر والله ولي التوفيق
الفصل الثاني في حكمة خلق الارض والتدبر في نحو وجودها وصفاتها واستقرارها في وسط الكل وكثافتها ولونها الغبراء
لكون قابلة للانارة والضياء وتوسطها في الصلابة حتى يمكن المشي عليها للحيوان وتقبل الحرث والزرع للاغذاء